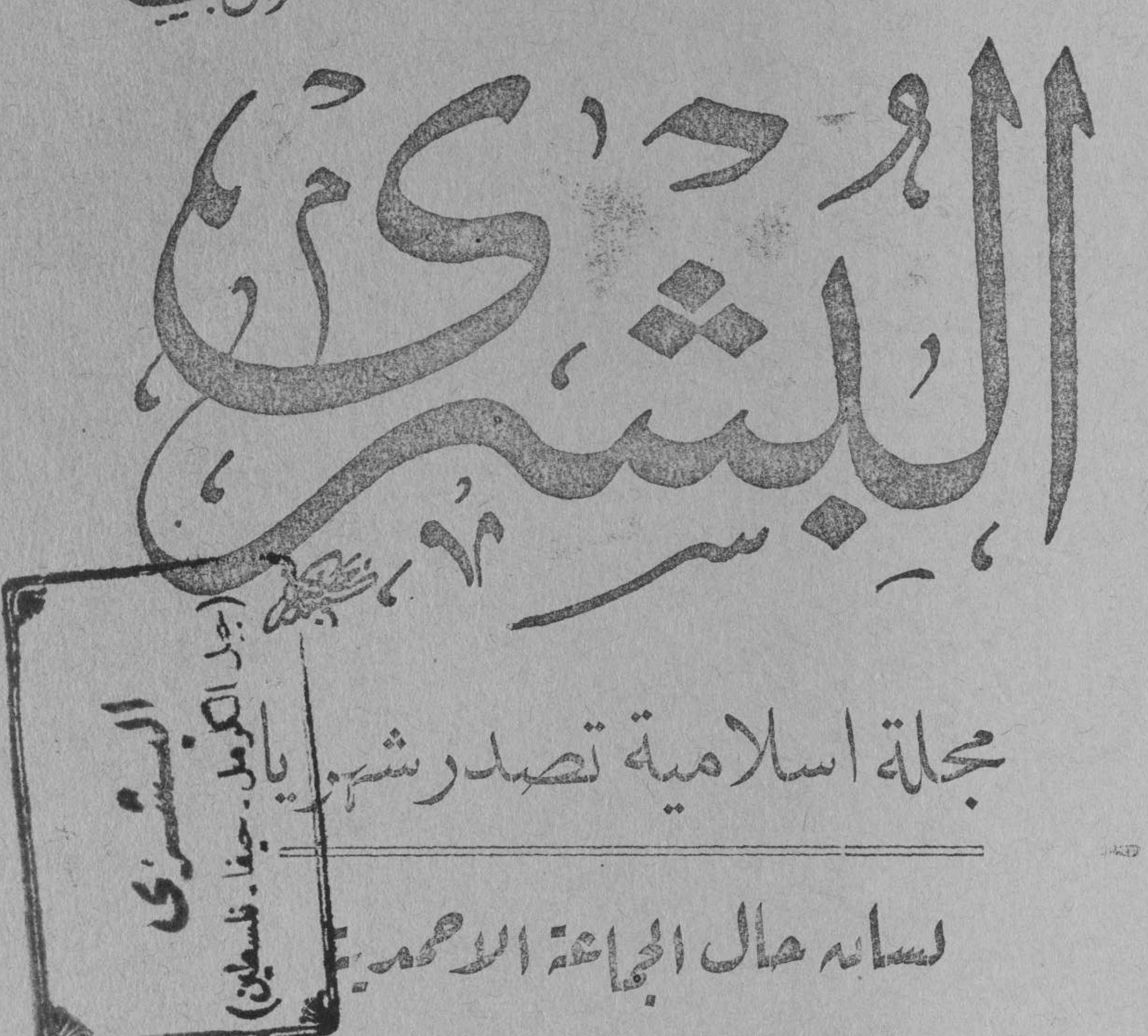
بسم الله الرحمن الرحيم

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة

"قرآن مجيد"



البشرى

مجلة اسلامية تصدر شهريا

لسان حال الجماعة الاحمدية

السنة الاولى	شعبان ورمضان ١٣٥٤ - نوفمبر وديسمبر ١٩٣٥	العددان : الحادي عشر والثانى عشر

المطبعة الاحمدية * بجبل الكرمل * حيفا : فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب البشرى
ومحررها
المبشر الاسلامي
ابو العطاء الجالندهري
الاحمدي

البشـــرى

مجلة اسلامية تصدر شهريا
لسان حال الجماعة الاحمدية في الديار العربية

عنوان المراسلات:
إدارة مجلة البشرى
بجبل الكرمل
حيفا — فلسطين

السنة الاولى : شعبان ورمضان ١٣٥٤ : نوفمبر وديسمبر ١٩٣٥ : العددان ١١و١٢

سورة الفاتحة تاج القرآن العظيم

مقارنة بين دعاء النصرانية ودعاء الاسلام

ان لكل شيء ذروة وسناما ، وذروة القرآن وسنامه سورة الفاتحة . أنزل الله القرآن المجيد كتاباً أفصحت آياته من لدنه ، وتحدى فصحاء العرب : شعراءهم المفلقين وجهابذة النثر منهم بأن يأتوا بمثل أقصر سورة في القرآن وقال : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) . وكان ما يعلمه كل عربي وعجمي ان جميع الناس عجزوا عن ان ينقضوا هذا التحدى وينالوا من معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى الخالدة شيئاً . وها هي اربعة عشر قرنا انطوت ولم يأت الزمان ولن يأتي بمثله ابداً

وان سورة الفاتحة احدى سور القرآن الحكيم ولكن لها جلالا خاصا وشأنا عظيما. يقول الله عزوجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وانها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذى أعطيته) رواه الترمذي . ومما لا شك فيه ان سورة الفاتحة هى التي اخبر بها يوحنا اللاهوتي في قوله (ومعه في يده سفر صغير مفتوح*) وفي قوله (ورأيت على يمين الجالس على العرش سفراً مكتوباً من داخل ومن وراء مختوما بسبعة ختوم) .

وان احتواء سورة الفاتحة على دقائق علمية وحقائق روحانية وان اشتمالها على التعاليم اللاهوتية والناسوتية الكاملة لمعجزة فوق معجزة البلاغة ودقة الاسلوب ورقة النسيج في آياتها مع هذه الوجازة وقلة عددها . ثم ان الفاتحة دعاء العبد المسلم الى ربه واذا نظرناها من حيث كونها دعاء وجدناها دعاء كاملا ينبعث من أعماق الفطرة ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة من حاجات الطالب الا حواها فنعم الدعاء ونعم الداعي بهذا الدعاء

وان بعض المتعصبين لباطلهم من القسوس وطائفة كبيرة من أتباعهم الجاهلين يزعمون ان سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من لدن احد الرهبان او اختار آياته من الصحف القديمة وأعانه عليه قوم آخرون . كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وان يخلقون الا إفكا وزورا . وان اسطورة بحيرا الراهب ، على اختلاقها وسخافتها ، تدل على ان القوم لم يجدوا في القرآن منتقداً فنسبوه الى كتبهم واخترعوا حديث خرافة لا اساس له من الصحة وها أني أضع امام القراء دعاء الاسلام ودعاء النصرانية لكى يستطيعوا المقارنة بينهما .

دعاء النصرانية

« أبانا الذى فى السموات · ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن

* والكلمة العبرية هى (פתוח) فتوحه . كأن النبأ ذكر اسم الفاتحة

مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا . ولا تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد . آمين » (متي ٦:٩-١٣)

دعاء الاسلام

« بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين

المقارنة الوجيزة بين دعاء الاسلام ودعاء المسيحية

ان نظرة واحدة على كلمات دعاء الاسلام ودعاء النصرانية كافية لأن يحكم الرجل الفطن اللبيب بان دعاء الاسلام أرقي وأشمل وأسمي وأجلّ من دعاء النصرانية ولا تزال طائفة من عقلاء النصاري يفضلون دعاء القرآن على دعاء الانجيل . واليكم مقارنة وجيزة بينهما :

١- عبارة دعاء القرآن مختصرة مع انها تحوي جميع ما تطلبه الفطرة البشرية

٢- ان دعاء الاسلام مرتب بحسب ترتيب الطلب الفطري : من ذكر الصفات الالهية وتقديم التعهد بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية الى الصراط المستقيم مع وضع كل كلمة في محلها وتنسيق العبارات

٣- يظهر دعاء الانجيل ان اسم الله لم يتقدس بعد وان ملكوته لم يأت بعد وان مشيئته على الارض ليست كما في السماء ولكن دعاء القرآن يذكر « الحمد لله » ويثبت ان كل شيء تحت امره تعالى في الارض وفي السماء واما يوم الفصل الاخير بين بني البشر فله وقت خاص .

٤- ان دعاء الانجيل يخاطب الرب باسم الاب ، ولكن القرآن يقول عنه

« رب العالمين » وشتان بين الأب وبين الرب لان شفقة الاول محدودة الأمد ودائرتها ضيقة واما رحمة الرب فلا نهاية لها وليس لها زمن محدود . قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء)

٥- كلمة (أبانا) تحدد ابوته بالمتكلمين واما كلمة (رب العالمين) فتجعل المؤمن ينظر الى الخليقة كلها بنظرة الأخوة الصادقة ويراهم سواسية في الحقوق البشرية.

٦- لفظة (الذي في السموات) تنفي كونه في الارضين واما قوله (رب العالمين) فيثبت انه رب كل كائن وليس له حيز يتحيز فيه ولا مكان دون مكان

٧- ان كلمات الأنجيل (اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين إلينا) تدل على ان الداعي يذكر ربه بحسنات نفسه الى بني البشر وفيه ما فيه ، واما كلمات القرآن (اياك نعبد واياك نستعين) فقد انطلقت من فم المصلى بعد تصور صفاته تعالى في خشوع وإجلال فما أجمل قوله (صراط الذين انعمت عليهم) بالنسبة الى قول الانجيل (كما نغفر نحن ايضاً) .

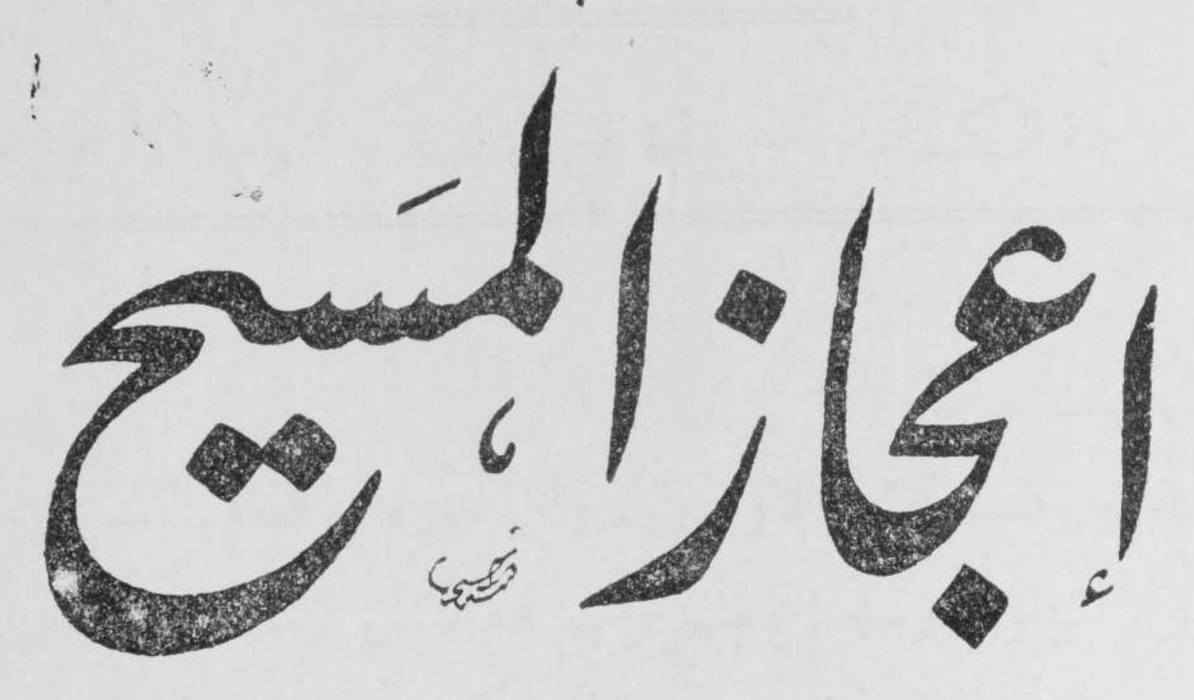
٨- روح دعاء الانجيل (خبزنا كفافنا اعطنا اليوم) ولب دعاء القرآن (اهدنا الصراط المستقيم) وبينهما بون شاسع وبعد بعيد . وقليل من الفكر يريك سمو مقام دعاء الاسلام وعلو مكانته .

وإن هذه المقارنة الوجيزة تبطل زعم الزاعمين بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى هذا الكتاب العزيز من عند غير الله اوافتراه من عند نفسه وتثبت ان القرآن المجيد من عند الله وحده وان سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على كل حال أفضل من المسيح بن مريم عليه السلام لان الاخير كان في عائلة يهودية وبين احبار وعلماء التوراة ومع ذلك لم يستطع ان يأتي بدعاء مثل ما أتي به الاول مع انه قد نشأ في البيئة الوثنية وبين قوم أميين. واذا كان هذا حال من اتخذته النصارى إلهاً فكيف يتصور عاقل انهم عن الأتيان بمثل القرآن او سورة الفاتحة ليسوا بعاجزين ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون (الواقعة ٧٧-٧٩)

كتاب



لخاتمة المجددين في الاسلام حضرة احمد المسيح الموعود عليه السلام

نشره المبشر الاسلامي ابو العطاء الجالندهرى الاحمدي

(يطلب من مدير المكتبة الاحمدية بالكبابير - بجبل الكرمل - حيفا - فلسطين)

الطبعة الثانية .... الثمن ٣٠ مليما

المطبعة الاحمدية بجبل الكرمل حيفا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

— ترجمة الكتاب — نبذة عن المؤلف — وجه الأعجاز —

آيات الله والانبياء !

ان الله نور السموات والارضين ، وان لنوره في العالم البشري مطالع و مظاهر ، وهم انبياؤه ورسله . يبعثهم ربهم هداة الى الرشد ودعاة الى الحق و التوحيد ، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، ويقومون ما اعوج وينيرون ما أظلم من عقول زائغة وقلوب مظلمة .

وان لهم غاية سامية وان عليهم واجباً عظيما : إنقاذ البشر من بين براثن الشيطان وتنوير قلوبهم بنور الرحمن . وفى سبيل هذا المبدأ النبيل يلقون ما يلقون من ابناء جلدتهم ، وفى سبيل هذا المبدأ الجليل يحتملون ما يحتملون من الشدائد والمشاق التي تجعل الولدان شيبا حتى يكاد اعداؤهم يسطون بهم لولا ان الله يعصمهم من الناس و يسلك من بين ايديهم ومن خلفهم رصداً حتى يبلغوا رسالات ربهم ويحق القول على الظالمين

ان نور الله يتلألأ في وجوههم واعمالهم واحوالهم ، وان حكمة الله تجري على ألسنتهم وفى اقوالهم ولكن الاعداء لا يبصرون ذلك النور ولا يدركون تلك الحكمة ، وهم لذلك يناصبونهم العداء و يشتد خصامهم ، فيريهم الله عندئذ آيات تدل على صدق هؤلاء الانبياء عليهم السلام . وقد تظهر تلك الآيات فى

السماء وقد تظهر فى الآفاق وفى نفوس الاعداء (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .)

وان إراءة الآيات لها حكمة واضحة وهى : ان يعرف الناس ان ذلك النبي الذي ظهرت له تلك الآية هو مرسل من عند الله فلابد ان تكون تلك الآيات معجزة : تعجز الناس عن الأتيان بمثلها في وقت معين او على الدوام دون قيد وشرط

المعجزات والقرآن المجيد !

يتبين لنا من قراءة القرآن المجيد ان كثيراً من الانبياء ظهرت لهم معجزات ، وكانت تلك المعجزات شاملة على آيات رحمة وآيات عذاب ولكنها لم تدم سوى المعجزة الكبرى التي ظهرت على يد سيدنا وسيد الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وهى القرآن المجيد . قلنا ان القرآن الحكيم ذكر المعجزات لكثير من الانبياء ولم يذكر لجميعهم لأنه ليس من الضروري ان تعلم لكل رسول معجزة . يقول الأمام الرازي :—

« فالله اذا خلق رسولاً وجعله رسولاً ليس من ضروراته ان تعلم له معجزة ولهذا علم وجود رسل كشيث وادريس وشعيب ولم تعلم لهم معجزة » (التفسير الكبير الجزء السادس ص ٤٩٩). ثم يتضح من القرآن المجيد ان الانبياء ما كان لهم ان يأتوا بآية إلا باذن الله (وماكان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله) .

ومن هنا لم تكن الآيات التي يقترحها عليهم اعداؤهم تظهر على ايديهم ولا

التي كانت قد ظهرت لنبي من الانبياء السابقين . يقول عز شانه (وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) . ويقول تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) ويقول جل شأنه (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون)

ولقد قلنا ان معجزات سائر الرسل كانت لوقت محدود ثم امحت هي وعفت آثارها . واليكم ما قاله الأمام صاحب (البحر المحيط) عن معجزة من معجزات المسيح عليه السلام :

« تواطأ النقل عن المفسرين ان الطائر الذي خلقه عيسى كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً » (الجزء الثاني صفحة ٤٦٦)

واما المعجزة التي تبقى على وجه الدهر ابد الآبدين فهي معجزة القرآن العظيم .

معجزة كل نبي حسب زمنه !

ومما لاشك فيه ان معجزة كل نبي تتناسب مع العصر الذي يبعث فيه يقول العلامة التفتازاني صاحب كتاب (التلويح) ما لفظه :—

« وقد حقق في الكتب الكلامية ان معجزة كل نبي بما يتباهى به قومه بحيث لا يتصور المزيد عليه كالسحر في زمن موسى عليه السلام والطب في زمن عيسى عليه السلام

والبلاغة في زمن سيدنا محمد عليه السلام » (الجزء الاول ص ٥٢)

ولذلك جلُّ المعجزات التي ظهرت على ايدي انبياء بني اسرائيل كانت مادية لأن عقول ابناء اسرائيل لم تنضج بعد ولم تكن بلغت مبلغ الكمال .

يقول الامام السيوطي في (الأتقان) :—

« اعلم ان المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى إما حسية وإما عقلية واكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم واكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم (الجزء الثاني صحيفة ١١٦)

معجزة سيدنا المسيح بن مريم الكلامية !

ان القرآن المجيد ذكر جملة من معجزات المسيح بن مريم عليه السلام ومنها قوله عز وجل (اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا) فقد أوتي المسيح بن مريم معجزة الكلام . ولا شك ان تلك المعجزة المذكورة في هذه الآية هى ليست بنص الوحي الالهي الذى نزل عليه من عند الله بل هى ذلك الكلام الذي كان المسيح عليه السلام يتكلم به أمام الجمهور بتأييد الروح القدس والناس كانوا عاجزين عن ان يتكلموا بمثله . ومن الواضح الجلي ان معجزة المسيح الكلامية كانت مؤقتة كسائر معجزاته ولم تنقل إلى الاجيال الآتية ولم تُحفظ بأصلها ، بل نفس الوحي الذي اوحى به الله اليه لم يبق محفوظاً ، لأن الله تعالى لم يعد بحفظه كما وعد بحفظه القرآن المجيد معجزة الله الخالدة .

نبذة من حالات سيدنا احمد المسيح الموعود !

لقد بعث الله سيدنا احمد المسيح الموعود عليه السلام على رأس القرن الرابع عشر من البعثة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام . وكان في هذا البعث دليل على صدقه اذ بُعث عند مسيس الحاجة وفي الوقت الموعود به على السنة الابرار السابقين . و كان حضرته صدوقا أمينا في نظر اصدقائه واعدائه حتى المشائخ الذين طفقوا يكفرونه بعد الدعوى وقد شهدوا بذلك من قبل . يقول سبحانه (قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا ادرا كم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون)

فلما رأى أنقياء القلوب من المسلمين ان الرجل بُعث كما يُبعث المجددون لدين الله الحنيف وان حال المسلمين تقتضي مجيء مصلح عظيم ولم يقم احد غيره يدعى بأنه هو المجدد لهذا القرن طبق قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) رواه ابوداود . ثم رأوا ان جميع احوال هذا المدعي تدل على صدق دعواه . فلما رأى المسلمون الصلحاء كل هذا أقبلوا اليه كل الأقبال وآمنوا به وانضم الى جماعته ألوف من المسلمين والنصارى ومن الهنادك الوثنيين فقامت قيامة زعماء الديانات الثلاث: الهندوكية والنصرانية والاسلام، وعقدوا الخناصر على تدمير سيدنا احمد المسيح الموعود عليه السلام و إخفات صوته وصوت أتباعه فسعوا كل السعي واحتالوا بكل الحيل ولكنهم مازادوا نفوسهم غير تخسير . كانوا ينفقون الاموال فكانت عليهم حسرة وكانوا يغلبون . وكلما أوقدوا ناراً للحرب

أطفأها الله وأظهر آيات في السماء مثل كسوف الشمس وخسوف القمر في رمضان سنة ١٣١١ ، وكان قد وُعد بهما في الانجيل والقرآن وفي الحديث الذي رواه الأمام الدار قطني في صحيحه ، وأظهر آيات في الارض مثل الطاعون و الطوفان والزلازل وموت الاعداء وآيات الرحمة والبركات المؤمنين من الأتباع ، ولكن الاعداء لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل. وما آمنت قبلهم أمة اراها الله آية أفهم يؤمنون ؟ وكذلك كان الذين قبلهم يكذبون الانبياء ويعرضون عن الآيات ويقولون انها لسحر مستمر وليست بشيء يذكر، أتواصوا به بل هم قوم طاغون .

جرت الحال على هذا المنوال بين الفريقين سنين : كانت الآيات تظهر تترى وما كان من القوم إلا الاعراض والتكذيب حتى حمى وطيس الجدال بين القسوس وزعماء المجوس وعلماء المسلمين من جانب و بين مؤسس الجماعة الاحمدية من جانب آخر

وهنالك آتاه الله من لدنه علماً وأيده بروح القدس و علمه حججاً دامغة وأودع كلامه براهين قاطعة لأن الاعداء كانوا يرمونه بالجهل وكانوا يتبجحون بعلومهم ، فطلب منهم مؤسس الجماعة الاحمدية المناضلة في هذا المضمار وألف لكل قوم كتاباً او كتباً وتحداهم بأن يكتبوا مثله او مثلها وجعل لهم جوائز مالية تقدر بالمئات والالوف فما استطاع احد منهم ان ينقض هذا التحدي وأصبحوا في أمرهم حيارى فكان هذا إعجازاً وأيما إعجاز .

كتاب (إعجاز المسيح) !

واما العلماء والمشائخ فتحداهم سيدنا احمد عليه السلام بكتابة تفسير القرآن

باللغة العربية الفصحى . ومن المعلوم ان القرآن كنز لا يشير دفائنه وكتاب مكنون لا يطلع على أسراره إلا الذين اصطفاهم الله وطهرهم بيده يقول تعالى (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) فلم يك احد من المشائخ قام بنقض هذا التحدي وما كان لهم ان ينقضوه ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

واخيراً في مثل هذه الايام قبل ٣٦ عاما في شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٨ نشر حضرة احمد المسيح الموعود عليه السلام اعلانا ودعا فيه الاعداء عامة والسيد مهر علي شاه زعيمهم خاصة لكتابة تفسير سورة الفاتحة وقال له ان يستنجد بالعلماء بل يستدعي بعض العرب الأدباء ايضاً ويكتبوا جميعاً تفسير هذه السورة بالعربية الفصحى وينشروا ذلك التفسير في خلال سبعين يوماً كما ان حضرته عليه السلام ايضاً يكتب تفسير ام الكتاب بالعربية الفصحى وينشره في ذات المدة . ومن هنا يُعلم ان أي الفريقين عند الله اطهر وأزكى .

وقد جعل سيدنا احمد عليه السلام لزعيم الاعداء جائزة قدرها خمسمائة روبية بشرط ان يأتي بتفسير الفاتحة باللغة العربية في بحر سبعين يوماً . وقال عليه السلام ما ترجمته بالحرف الواحد :—

« تفسير كلا الفريقين لا ينقص من اربعة اجزاء والذي عجز عن نشر تفسيره المطبوع في أثناء الميعاد — أي من ١٥ ديسمبر ١٩٠٠ إلى ٢٥ فبراير ١٩٠١ — وانقضت هذه السبعون يوماً، يعد كاذبا وليس من حاجة الى دليل آخر لأثبات كذبه »

وانسلخت الأيام ولم يستطع احد من العلماء ان ينشر تفسير الفاتحة باللغة

العربية وعجزوا عنه تمام العجز كأن مانعاً من السماء منعهم وأغلق عليهم وكسر أقلامهم، وفي يوم ٢٠ فبراير ١٩٠١ — اي قبل نهاية الميعاد بخمسة ايام، نشر سيدنا احمد المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتاب الذي بين أيديكم وأسماه « إعجاز المسيح ».

تحدي مؤلف (إعجاز المسيح) وعجز اعدائه !

ترون ان التفسير جاء معجزاً ، أعجز الاعداء وهم كثير عن كتابة مثله في ذلك الوقت ولا يزالون عاجزين مع ان الايام قد استدارت وقد حال على الكتاب ستة وثلاثون حَوْلاً كاملاً . وكيف لا يكون ذلك وقد قال احمد عليه السلام :—

(١) « اعلموا ان رسالتي هذه آية من آيات الله رب العالمين وتبصرة لقوم طالبين . وإنها من ربي حجة قاطعة وبرهان مبين . كذلك ليذيق الأفاكين قليلاً من جزاء ذنوبهم ، ويري الناس ما ترشح من ذنوبهم، ويجنبهم بمعجزة قاهرة ، ويزيل اضطجاع الأمن من جنوبهم ، ويستأصل راحة كاذبة من قلوبهم . والحق والحق اقول ان هذا كلام كأنه حُسام، وانه قطع كل نزاع وما بقي بعده خصام . ومن كان يظن انه فصيح وعنده كلام كأنه بدر تام فليأت بمثله والصمت عليه حرام . وان اجتمع آباءهم وابناءهم واكفاءهم وعلماءهم وحكماءهم وفقهاءهم على ان يأتوا بمثل هذا التفسير في هذا المدى القليل الحقير لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض كالظهير . فاني دعوت لذلك وان دعائي مستجاب، فلن يقدر على جوابه كتاب ، لا شيوخ ولا شباب . » (صحيفة ١٨)

(٢) « فانه كتاب ليس له جواب ، ومن قام للجواب وتنمر فسوف يرى انه تندم وتذمر » (صفحة الغلاف)

(٣) «واني أريت مبشرة في ليلة الثلاثاء اذ دعوت الله ان يجعله معجزة للعلماء و دعوت ان لا يقدر على مثله احد من الادباء ولا يعطى لهم قدرة على الأنشاء، فأجيب دعائي في تلك الليلة المباركة من حضرة الكبرياء. وبشرني ربي وقال: منعه ما نع من السماء. ففهمت انه يشير الى ان العدا لا يقدرون عليه ولا يأتون بمثله ولا كصفتيه» (صحيفة ٢٢)

(٤) « وتجدون هذا الكلام مملوءاً من النكات الروحانية والمعارف الربانية مع انه الطف صنعاً وأرق نسجاً وأشرف لفظاً ولا تجدون فيه شيئاً هو خارج من المقصد ما لكم لا تفكرون. ووالله انه ظل فصاحة القرآن ليكون آية لقوم يتدبرون. أتقولون سارق فأتوا بصفحات مسروقة كمثلها في التزام الحق والحكمة ان كنتم تصدقون. » (الاستفتاء ص ٩)

وجه الأعجاز في كتاب (إعجاز المسيح)!

ان كتاب (إعجاز المسيح) تفسير لسورة الفاتحة كتبه سيدنا احمد المسيح الموعود عليه السلام بتأييد من الله، وتحدى العلماء بكتابة مثل ذلك التفسير وجعل لهم جُعْلا وأجلاً مسمى، وذلك عند ما قالوا انه جاهل لا يعرف لغة القرآن بل هو مفتر كذاب. والواقع ان جميع العلماء عجزوا عن كتابة تفسير ام الكتاب وصرف الله هممهم فكان إعجازاً من الله. وقد قال الأمام

الغزالي في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) ما لفظه :—

« لو قال نبي آية صدقي اني في هذا اليوم أحرك اصبعي ولا يقدر احد من البشر على معارضتي فلم يعارضه احد في ذلك اليوم ثبت صدقه » (ص ٩٤)

ثم ان القرآن كتاب مقدس لا يمكن لكافر او فاسق ان يتمكن من تفسيره الصحيح و يفوق أقرانه في ذلك التفسير. ونرى ههنا ان سيدنا احمد عليه السلام لم يأت بتفسير عجيب فحسب بل تحدى العلماء وطلب منهم ان يكتبوا مثل تفسيره و لكن الله لم يفتح عليهم بشيء . فنفس تفسير القرآن الصحيح آية من آيات الله و لكنه اذا كان بعد التحدي فلا شك في كونه معجزة.

ثم اذا رأينا لغة الكتاب الفصحى ورأينا حالة المؤلف عليه السلام حيث كان في قرية صغيرة منعزلة ولم يتلق اللغة العربية من افواه الادباء والعلماء ولذلك كان علماء زمانه يعيرونه بعدم تلقي الدروس على ايدي الاساتذة الكبار ويسمونه جاهلاً بالنسبة الى علومهم ، اذا رأينا كل هذا لا نشك ابداً في كون الكتاب معجزة كبرى

وفوق هذه الاعتبارات كلها شيء آخر، وهو ان الكتاب يشمل أدلة واضحة و بينات جلية تدل على صدق الدعوة الاحمدية وصدق سيدنا احمد عليه السلام. و تلك البينات مستقاة من آيات الفاتحة ، ولم يخلق ولن يخلق انسان يستطيع نقض تلك البينات إلى يوم القيامة ولن يتمكن احد من العلماء ان يأتي ببراهين من ام الكتاب تدل على بطلان الدعوة الاحمدية و كذب مؤسسها ، فالفاتحة فتحت على الأمة باب الرحمة وجاءت لنا بفتح مبين ، فهي اذن كلمة الفصل بيننا و بين اعدائنا و الله خير الفاتحين

كتاب « إعجاز المسيح » وصاحب مجلة « المنار »!

ولما تمت الحجة على علماء الهند ومشائخها اراد سيدنا احمد عليه السلام ان يرسل أشعته الروحانية الى بلاد مصر — وفيها الجامع الأزهر والوف من العلماء الكرام — فبعث كتابه (إعجاز المسيح) الى نخبة من فضلاء هاتيك الديار ومنهم الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) . وقام الاخير يستهزئ بهذا الكتاب و يسخر من المؤلف في مجلته ولكنه لم يستطع ان يكتب مثل هذا التفسير او ينقض احدى حجج الكتاب . وحين بلغ خبر هذا الازدراء مولانا احمد المسيح الموعود عليه السلام رأى ان صاحب (المنار) طغى في كلامه وتجاوز الحد في التكذيب و الاستهزاء ، فدعا ربه ان يوفقه لتأليف كتاب آخر يتحدى به صاحب (المنار) خاصة و يطفئ هذه النار التي أوقدها تعمداً ، فاستجيبت دعوته و وُفق الى تأليف كتاب أسماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) فأرسل حضرته هذا الكتاب الى صاحب (المنار) وقال :—

(١) « فان أتى بالجواب الحسن وأحسن الرد عليه فأحرق كتبي و أقبل قدميه وأعلق بذيله وأكيل الناس بكيله » (ص ٢٠)

(٢) « فعليه ان يكتب كتابا كمثل كتابي وعلى منواله ، ليحكم الله بيننا بعد بثّ الاسرار و نثّ الاخبار ، وارجو من الله ان يبعث بعض اولى الابصار وفضلاء الديار ليفتحوا بالحق بيني و بين من يرقص على المنار » (ص ٢٣)

(٣) « وان الخرورشيئ عظيم فما بال الذي من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى . ام له في البراعة يد طولى ؟ سيهزم فلا يرى نبأ من

الله الذي يعلم السر وأخفى . انه مع قوم يتقونه و يحسنون الحسنى ،
ينصرهم في مواطن فتكون كلمتهم هى العليا » (ص ٩)

ايها القارئ العزيز ! أرأيت مثل هذا التحدى من كاذب ؟ ثم هل تدري
ان صاحب (المنار) عاش بعد هذا التحدي الصارخ اكثر من ثلث القرن ولم
يستطع ان يكتب الرد على (الهدى) ؛ و لم يستطع ان يأتي بتفسير الفاتحة
مثل (إعجاز المسيح) وقد ذُكّر بهذا التحدي من قبل أتباع سيدنا احمد
المسيح الموعود عليه السلام مرة بعد اخرى ؟ وهل يمكن لانسان يخاف مقام
ربه ان ينكر هذه المعجزة الكبرى ؟

اعتراضات منكرى (إعجاز المسيح) ونقضها !

ولعلك ايها القارئ العزيز! تود ان تعرف ما قال الاعداء الذين أنكروا
هذا الاعجاز ، فاسمع رحمك الله انهم قالوا مثل ما قال الاولون :—

(١) قالت كفرة قريش حينما تُحدوا بمثل القرآن المجيد (قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ان هذا إلا اساطير الاولين *) و يقول الله تعالى (ومنهم من يستمع اليك و
جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا إلا اساطير الاولين *)
وكذلك استصغر اعداء الاحمدية (إعجاز المسيح) واحتقروه وقال الشيخ
رشيد رضا :—

« ان كثيراً من اهل العلم يستطيعون ان يكتبوا خيراً منه في سبعة ايام» *

* سورة الأنفال ٣١ * سورة الانعام ٢٥ * (المنار المجلد الرابع)

ولكن هل كتبوا ؟ مضت ٣٦ سنة على ذلك الكتاب ولم يستطع احد من « اهل العلم » ان يكتب مثله فضلاً عن ان يكتب خيراً منه كما زعم صاحب المنار .

(٢) الانبياء اخوة علات فلا يكون احد منهم بدعا ولا يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله . ان اعداء القرآن المجيد حقروا شأنه بادئ ذي بدء وعند ما رأوا بلاغته ولم يستطيعوا معارضته قالوا ان شخصاً او اشخاصاً آخرين يعلمون محمداً هذا الكتاب وهو يقرأ عليهم هذه الاساطير . والله عزوجل ذكر هذا الاعتراض في كتابه العزيز ورد على المعترضين . يقول سبحانه (وقال الذين كفروا ان هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤ ظلماً وزورا. وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا. قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوراً رحيما *) ويقول تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين . ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم *)

وكذلك قالت جريدة (الفتح) المصرية :— « ان غلام احمد الكذاب كان قد استأجر شاميًا ليساعده في كتابة كتبه السخيفة » (العدد ٣٩٩)

وان الأمام الرازى ذكر في تفسير قوله تعالى (انما يعلمه بشر) اسماء رجال كثيرين ثم قال :— « وبالجملة فلا فائدة في تعديد هذه الاسماء و الحاصل ان القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحي وهو كاذب فيه » (الجزء الخامس ص ٣٥٣)

---

* سورة الفرقان ٤—٦ * سورة النحل ١٠٣—١٠٤

فالواضح ان جريدة (الفتح) في قولتها هذه ما جاءت بشيء مبتكر بل انما حذت حذو الاولين. واظهاراً لخطلها الفاضح اقول : أي شامي هو ذلك الذي ساعد سيدنا احمد المسيح الموعود عليه السلام في تأليف كتبه ؟ واذا كان له وجود حقاً فلا يخلو حاله من اثنتين :—

إما ان يكون منافقاً اختار هذه الدناءة، اي المساعدة على الافتراء على الله، لقاء دريهمات وإما ان يكون مؤمناً مخلصاً يؤمن بأن المسيح الموعود أرسله الله من عنده . وفي الثانية كيف يبقى مؤمناً بالرجل وهو يرى انه يتعلم منه و يقول ان الله علمني ؟ وفي الاولى ما منعه ان يعلم اعداء المسيح الموعود عليه السلام ايضاً حتى ينقضوا تحديه ؟ اين عقولكم ايها الناس تقولون بما لا تعلمون

ومن عجيب صنع الله ان اقوال اعداء الانبياء دائماً تكون متضاربة متناقضة . ان موسى عليه السلام نبي عظيم ولكن فرعون يقول عنه (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون*) وملأه قالوا عنه (ان هذا لساحر عليم*) وكل انسان يعلم ان الساحر يكون شاطراً لا يكون مجنوناً . وكذلك تقول جريدة (الفتح) ان كتاب المسيح الموعود عليه السلام ألفه شامي اي عربي و الشيخ رشيد رضا صاحب المنار يقول :— « يوجد فيه ركاكة العجمة »

ومن الواضح ان القولين لا يصدقان في وقت واحد . بل كلاهما باطل لأن الله عز وجل هو الذي علمه العربية .

يقول سيدنا احمد المسيح الموعود في احدى قصائده :—

أنظر الى اقوالهم وتناقض * سلب العناد إصابة الآراء

---

* الشعراء ٢٧ * الاعراف ١٠٩

طوراً الى عرب عزوه وتارة * قالوا كلام فاسد الأملاء
هذا من الرحمن ياحزب العدا * لا فعل شامي ولا رفقائي

ثم ان الله رد على القائلين للرسول ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) بقوله جل شأنه (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض) أي ان هذا الكتاب يحتوي اسراراً وأنباءاً غيبية لايسع أي بشر أن يعلمها. وكذلك اقول ان كتاب (إعجاز المسيح) يشمل على أسرار الفاتحة وأنبائها الغيبية فأنى لمصري او شامي ان يدركها بدون تعليم الله؟

واخيراً اقول قول الفصل في هذا الموضوع وهو ان صاحب جريدة (الفتح) شامي وإني مرسل اليه هذا الكتاب بعد طبعه كما - واني أرسله الى علماء الحرمين الشريفين وعلماء مصر وفلسطين واليمن والعراق والشام وغيرهم من الفضلاء من الناطقين بالضاد — واطلب اليه ان يأتي بمثل هذا التفسير لسورة الفاتحة و ينقض الأدلة التي ذُكرت في كتاب (إعجاز المسيح) ان كان من القادرين. ولكني اقول انه وان جميع مناصريه لعاجزون عن هذا وذاك وان في ذلك لآية لقوم يتفكرون.

(٣) قيل ولربما يقال ان ادعاء كون هذا التفسير معجزاً ينال من عظمة إعجاز القرآن المجيد. وان هذا القول وايم الحق لأكبر سفسطة يراد بها تمويه الحقائق لأن الظل لاينال من عظمة الأصل بل يدل عليها. ومن الضرورى ان يكون تفسير القرآن الحقيقي طبق قوله (الرحمن علم القرآن) معجزاً كما ان القرآن المجيد معجز الى ابد الآبدين. ولعل الحكمة في تحديد المدة في مسألة التفسير هي لكي يقضي على هذا القيل ويقطع دابر المرجفين. يقول سيدنا احمد المسيح

الموعود عليه السلام :—

« ألا ان لعنة الله على الذين يقولون انا نأتي بمثل القرآن . انه معجزة لا يأتي بمثله احد من الانس والجان . وانه جمع معارف ومحاسن لا يجمعها علم الانسان بل انه وحي ليس كمثله غيره وان كان بعده وحي آخر من الرحمن ، فانلله تجليات في إيحائه وانه ما تجلى من قبل ولا يتجلى من بعد كمثل تجليه لخاتم انبيائه . وليس شأن وحي الاولياء كمثل شأن وحي الفرقان وان أوحى اليهم كلمة كمثل كلمات القرآن فان دائرة معارف القرآن اكبر الدوائر » (الهدى — صحيفة ٣٢)

ختام الكلمة !

وبعد فأختم الآن كلمتى وارجو المولى عزوجل ان يسدد خطانا و يوفقنا لخدمة دينه الحنيف ويفتح علينا أسرار كتابه الكريم . ربنا تقبل منا أنك انت السميع العليم ٭

الكبابير – جبل الكرمل – حيفا – فلسطين　　　المبشر الاسلامي

٢٩ رمضان المبارك ١٣٥٤ — ٢٥ ديسمبر ١٩٣٥　　ابو العطاء الجالندهري

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه صورة غلاف الطبعة الاولى

من سرّه ان يقرأ الفاتحة مع معارفها المخفية وحقائقها الروحانية فليقرء تفسيرنا هذا بالتدبر وصحة النية. ولا يحسر عن ساعده للمقابلة. فانه كتاب ليس له جواب، و من قام للجواب وتنمر فسوف يرى انه تندم و تذمر . فطوبى لمن همن ما اصطفيناه وأخذ ما أعطيناه . وما كان كالذي لبس الصفاقة وخلع الصداقة. وهذا ردّ على الذين يجهلوننا و يصبغون التلبيس . و يقولون ليس عندهم من علم بل عصبة من مفاليس.

وإنا أقررنا بأن كتبنا كلها من حول الله ذي الجلال وما نحن الا كالجهال. وان كتابي هذا بليغ وفصيح ومليح . واني سميته

اعجاز المسيح

— وقد طبع في مطبع (ضياء الاسلام) في سبعين يوماً من شهر الصيام —

(وكان من الهجرة سنة ١٣١٨ : ومن شهر النصارى ٢٠ فروري سنة ١٩٠١)

مقام الطبع : قاديان . ضلع غورداسبور — باهتمام الحكيم فضل الدين البهيروي

فهرست

ابواب كتاب (اعجاز المسيح) فى تفسير ام الكتاب

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أنطق الانسان وعلمه البيان، وجعل كلام البشر مظهر حسنه المستتر، ولطف أسرار العارفين بالهامه، وكمل ارواح الروحانيين بانعامه، و كفل أمرهم بعنايته، واستودعهم ظل حمايته، وعادى من عادى اولياءه وما غادرهم عند الاهوال، وسمع دعاءهم اذا أقبلوا عليه كل الأقبال، وأرى لهم غيرته وصارلهم كقسوره للأشبال، ولوى إليهم كزافرة فى مواطن الجدال، وما زايلهم في موقف وما نسيهم عند الابتهال، والزمهم كلمة التقوى وثبتهم على سبل الهدى، وجذبهم الى حضرته العليا ووهب لهم أعينا يبصرون بها وقلوبا يفقهون بها وجوارح يعملون بها، وجعلهم حرز المخلوقين وروح العالمين.

والسلام والصلوة على رسول جاء في زمن كان كدست غاب صدره، أو كليل أفل بدره. ظهر في عصر كان الناس فيه يحتاجون الى العصرة، وكانت الارض أمحلت وخلت راحتها من بخل المزنة، فأروى الارض التي احترقت لأخلاف العهاد وأحيا القلوب كأحياء الوابل للسنة الجماد، فتهلل الوجوه وعاد حبرها وسبرها، وتراءت معادن الطبائع وظهرت فضتها وتبرها. وطهر المؤمنون من كل نوع الجناح وأعطوا جناحا يطير الى السماء بعد قص هذا الجناح، وأسس كل أمرهم على التقوى فما بقي ذرة من غير الله ولا الهوى. وطهرت ارض مكة بعد ما طيف فيها بالاوثان فما سجد على وجهها لغير الرحمن إلى هذا الأوان. فصلوا على هذا النبي المحسن الذي هو مظهر صفات الرحمن المنان، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان، والقلب الذي لا يدري إحسانه فلا ايمان له او يضيع ايمانه. اللهم صل على هذا الرسول النبي الأمي الذي سقى الآخرين كما سقى الاولين، وصبغهم بصبغ نفسه وأدخلهم في المطهرين،

فنورهم الله باشراق أشعة المحبة وسقاهم من أصفى المدامة ، وألحقهم بالسابقين من الفانين وقربهم وقبل قربانهم ودقق مشاعرهم وجلى جنانهم ووهب لهم من عنده فهم المقربين . وزكى نفوسهم وصفى ألواحهم ، وحلّى ارواحهم ، ونجا نفوسهم من سلاسل المحبوسين ، وكفل أمورهم كما هي عادته بأصفيائه ، وشرح صدورهم كما هي سيرته في اوليائه ، ودعاهم الى حضرته ، ثم تبادر الى فتح الباب برحمته ، وأدخلهم في زمرته ، وألحقهم بسكان جنته ، وقيل دارَكم أتيتم وأهلَكم وافيتم ، وجعلوا من المحبوبين . وهذا كله من بركات محمد خير الرسل وخاتم النبيين عليه صلوات الله وملائكته وانبيائه وجميع عباده الصالحين

اما بعد فاعلموا ايها الطالبون المنصفون والعاقلون المتدبرون ! اني عبد من عباد الرحمن ، الذين يجيئون من الحضرة وينزلون بأمر رب العزة عند اشتداد الحاجة وعند شيوع الجهلات والبدعات وقلة التقوى والمعرفة ، ليجددوا ما اخلق و يجمعوا ما تفرق ويتفقدوا ما افتقد وينجزوا ويوفوا ما وعد من رب العالمين وكذلك جئت وانا اول المؤمنين . واني بُعثت على رأس هذه المائة المباركة الربانية ، لأجمع شمل الملة الاسلامية ، وادفع ما صيل على كتاب الله وخير البرية ، واكسر عصا من عصى وأقيم جدران الشريعة . وقد بينت مراراً وأظهرت للناس إظهاراً ، اني انا المسيح الموعود والمهدي المعهود ، وكذلك أمرت وما كان لي ان اعصى أمر ربي وألحق بالمجرمين . فلا تعجلوا علي وتدبروا أمري حق التدبر ان كنتم متقين . وعسى ان تكذبوا امرءاً وهو من عند الله وعسى ان تفسقوا رجلاً وهو من الصالحين .

وان الله أرسلني لأصلح مفاسد هذا الزمن ، وأفرق بين القدس وخضراء الدمن ،

وأري سبيل الحق قوماً ضالين . وما كان دعواي في غير زمانه ، بل جئت كالربيع الذي عطر في إبانه . وعندي شهادات من ربي لقوم مستقرين ، وآيات بينات للمبصرين ووجه كوجه الصادقين للمتفرسين . وقد جاءت أيام الله وفتحت ابواب الرحمة للطالبين ، فلا تكونوا اول كافر بها وقد كنتم منتظرين . أين الخفاء ، فافتحوا العين ايها العقلاء ، شهدت لي الارض والسماء ، وأتاني العلماء الأمناء ، وعرفني قلوب العارفين ، وجرى اليقين في عروق قلوبهم كاقرية (١) تجري في البساتين . بيد ان بعض علماء هذه الديار ماقبلوني من البخل والاستكبار ، فما ظلمونا ولكن ظلموا انفسهم حسداً واستعلاءاً ، ورضوا بظلمات الجهل وتركوا علماً وضياءاً ، فتراكم الظلام في قولهم وفعلهم واعيانهم حتى اتخذ الخفافيش وكراً لجنانهم وما قعدقارية (٢) على اغصانهم .

وكانوا من قبل يتوقعون المسيح على رأس هذه المائة ، ويترقبونه كترقب أهلة الاعياد او اطائب المادبة . فلما جاءهم ماتوقعوه ، وأعطى ماطلبوه حسبوا كلام الله افتراء الانسان ، وقالوا مفتر يضل الناس كالشيطان . وطفقوا يشكون في شانه بل في ايمانه ، وكذبوه وفسقوه وكفروه مع مريديه وأعوانه . وانزل الله كثيراً من الآي فما قبلوا ، وأرى التأييد في المبادئ والغاي فما توجهوا ، وقالوا كاذب وما تفكروا في مآل الكاذبين ، وقالوا مختلق وماتذكروا من درج من المختلقين .

والأسف كل الاسف انهم يقولون ولا يسمعون . ويعترضون ولا يصغون .

---

(١) اقرية : جمع قرى وهو المجرى الصغير من الماء .

(٢) قارية : طائر ويعني طائراً ميموناً .

ويلمزون ولا يحققون . وحصحص الحق فلا يبصرون . واذا رموا البري بافيكة فضحكوا ومايبكون ، مالهم لايخافون ؟ ام لهم براءة في الزبر فهم لا يسئلون ؟

وما أرى خوف الله في قلوبهم بل هم يؤذون الصادقين ولا يبالون . ما ارى فناء صدورهم رحباً ، وكمثلهم اختاروا صحباً . ويهمزون ويغتابون وهم يعلمون . ولا يتكلمون إلا كطائر يخذق * او كمسلول يبصق . لا يبطنون امرنا ، ولا يعرفون سرنا . ثم يكفرون ويسبون ويهذرون من غير فهم الكتاب ولا كهرير الكلاب . ومابقي فيهم فهم يهديهم الى صراط مستقيم ، ولا خوف يجذبهم الى سبل مرضاة الله الرحيم . ومنهم مقتصدون، يكذبون ولا يعلمون . وبعضهم يكفون الالسنة ولا يسبون . وتجدا كثرهم مفحشين علينا ومكفرين سابين غير خائفين .

فليبك الباكون على مصيبة الاسلام ، وعلى فتن هذه الأيام، وأي فتنة اكبر من فتن هذه العلماء ؟ . فانهم تركوا الدين غريبا كشهداء الكربلاء . وإنها نار أذابت قلوبنا وجنبت جنوبنا ، وثقلت علينا خطوبنا، ورمت كتاب الله باحجار من جهلات الجاهلين. ونرى كثيراً منهم يخفون الحق ولا يجتنبون الزور كالصلحاء، وتكذب السنتهم عند الافتاء . غشوا طبائعهم بغواشي الظلمات ، وقدموا حب الصلات على حب الصلوة . نبذوا القرآن وراء ظهورهم للدنيا الدنية ، وأمالوا طبائعهم الى المقتنيات المادية ، واشتد حرصهم ونهمتهم وشغفهم باللذات الفانية ، وجاوز الحد شحهم في الأماني النفسانية . مابقي فيهم علم كتاب الله الفرقان ، ولا تقوى القلوب وحلاوة الايمان . وتباعدوا من اعمال البر وافعال الرشد والصلاح ، وانتقلوا من سبل الفلاح الى طرق الطلاح . وعاد جمرهم رمادا وصلاحهم فسادا ،

---

* خذق الطير : ذرق

بعدوا من الخير والخير بعد منهم كالاضداد ، وصاروا لأبليس كالمقرنين في الاصفاد . وانجذبوا الى الباطل كأنهم يقادون في الاقياد. يخونون في فتاواهم ولا يتقون . ويكذبون ولا يبالون . ويقربون حرمات الله ولا يبعدون. ولا يسمعون قول الحق بل يريدون ان يسفكوا قائله ويغتالون . ولما جاءهم إمام لا تهوى انفسهم ارادوا أن يقتلوه وهم يعلمون . وما كان لبشر ان يموت إلا باذن الله فكيف الموساون . انه يعصم عباده من عنده ولو مكر الماكرون .

يقولون نحن خدام الاسلام وقد صاروا اعوانا للنصارى في اكثر عقائدهم . وجعلوا انفسهم كحبالة لصائدهم . يقولون سمعنا الاحاديث بلاسانيد . ولا يعلمون شيئاً من معنى التوحيد. ويقولون نحن أعلم بالاحكام الشرعية وما وطئت أقدامهم سكك الادلة الدينية . يطيرون في الهوى كالحمام ولا يفكرون في ساعة الحمام . يسعون لحطام بانواع قاق ويخرجون كاهل النفاق رؤسهم من كل نفق ، يقعون من الشح على كل غضارة * ولو كان فيها لحم فارة ، إلا الذين عصمهم الله بايدي الفضل والكرامة فاولئك مبرؤن مما قيل وليس عليهم شيء من الغرامة وانهم من المغفورين .

ومن الفتن العظمى والآفات الكبرى صول القسوس بقسي الهمز واللمز كالعسوس * وكلما صنعوا لجرح ديننا من النبال والقياس . بنوه على المكائد كالصائد لا على العقل والقياس . نبذوا الحق ظهريا وما كتبوا فيما دونوا إلا أمرا فريا . وقد اجتمعت هممهم على إعدام الاسلام واتفقت آراءهم لمحو آثار سيدنا خير الانام . ويدعون الناس إلى اللظى والدرك ناصبين شرك الشرك . وما وجدوا

* غضارة : القصعة الكبيرة * العسوس : الطالب للصيد

كيدا إلا استعملوه وما نالوا جهدا إلا بذلوه . استحرت حر بهم وكثر طعنهم وضربهم . ونعرت كوساتهم وصاحت من كل طرف بوقاتهم . وجالت خيو لهم وسالت سيو لهم . وسعوا كل السعي حتى جمعوا عساكر الالحاد. ورفعوا رايات الفساد وصبت على المسلمين مصائب . وخربت تلك الربوع واهديت لسقياها الدموع . وكثر البدعة وما بقى السنة ولا الجماعة . ورفع القرآن وضاقت عن صونه الاستطاعة . فحاصل الكلام ان الاسلام ملئ من الآلام وأحاطت به دائرة الظلام . وأرى الزمان عجائب في نقض اسواره ، وأسال الدهر سيولاً لتعفية آثاره . وأكمل القدر امره لاطفاء انواره . ولما كان هذا من المشئية الربانية مبنيا على المصالح الخفية . فما تطرق الى عزم العدا خلل . ولا الى ايديهم شلل . ولا إلى السنتهم فلل . وكان من نتائجه ان الملة ضعفت والشريعة اضمحلت . وجرفتها المجارف حتى انكرها العارف . وكثر اللغو وذهب المعارف . باخت اضواءها وناءت انواءها . وديس الملة وطالت لاواءها وكان هذا جزاء قلوب مقفلة وآثام صدور مغلقة . فان اكثر المسلمين فقدوا تقواهم وأغضوا مولاهم. وترى كثيراً منهم شغفهم حب الاموال والعقار والعقيان . وملك فوأدهم هوى الاملاك والنسوان . وقلب قلوبهم لوعة إمرتها فشغلوا بها عن الرحمن . وترى اكثرهم اعتضدوا قربة الملحدين . وانقادوا كتؤد لسير الكافرين . وحسبوا ان الوصلة الى الدولة طرق الاحتيال او القتال . وزعموا ان النبالة لا يحصل الا بالنبال . فليس عندهم تدبير تأييد الملة من غير سفك الدماء بالمرهفات والأسنة. ويستقرون في كل وقت مواضع الجهاد وان لم يتحقق شروطه ولم يأمر به كتاب رب العباد. ومن المعلوم ان هذا الوقت ليس وقت ضرب الاعناق لأشاعة الدين

ولكل وقت حكم آخر في الكتاب المبين . بل يقتضي حكمة الله في هذه الاوقات ان يؤيد الدين بالحجج والآيات . وتنقد امور الملة بعين المعقول ويمعن النظر في الفروع والأصول . ثم يختار مسلك يهدي اليه نور الالهام . ويضعه العقل في موضع القبول . وان يعد عدة كمثل ما أعد الاعداء . ويفل السيف وبحد الدهاء ، ويسلك مسلك التحقيق والتدقيق وتشرب الكأس الدهاق من هذا الرحيق . فان اعداءنا لا يسلون النواحل* للنحلة ولا يشيعون عقائدهم بالسيوف والأسنة ، بل يستعملون ما لطف ودق من انواع المكائد ، ويأتون في صور مختلفة كالصائد ، وكذلك اراد الله لنا في هذا الزمان ان نكسر عصا الباطل بالبرهان لا بالسنان . فارسلني بالآيات لا بالمرهفات ، وجعل قلمي وكلمي منبع المعارف والنكات ، وما اعطاني سيفا وسنانًا وأقام مقامهما برهانا وبيانا ، ليجمع على يدي الكلم المتفرقة . وينظم بي الأمور المتبددة . ويسكن القلوب الراجفة . ويبكت الالسنة المرجفة . وينير الخواطر المظلمة و يجدد الادلة المخلقة . حتى لا يبقى امر غير مستقيم ولا نهج غير قويم . فحاصل القول ان البيان والمعارف من معجزاتي وان مرهفاتي آياتي وكلماتي . وكنت دعوت بعض اعدائي لأراءة هذه المعجزة لعل الله يشرح صدورهم او يجعل لهم نصيبًا من نور المعرفة . فقلت ان كنتم تنكرون إعجازي وتصولون علي كالغازي . وتظنون انكم أعطيتم علم القرآن وبلاغة سحبان . فتعالوا ندع شهداءنا وشهداءكم وعلماءنا وعلماءكم ثم نقعد متقابلين ونكتب تفسير سورة مرتجلين منفردين غير مستعينين . فما كان احد منهم ان يقبل الشرط المعروض و يتبع الأمر المفروض . ويقعد بحذائي وعلى التفسير كاملائي . بل جعلوا يكيدون

* النواحل : السيوف التي رقت ظباها من كثرة الاستعمال

ليطفؤا النور ويكذبوا المأمور. وكان احد منهم يقال له (مهر علي) وكان يزعم أصحابه انه الشيخ الكامل والولي الجلي. فلما دعوته بهذه الدعوة بعد ما ادعى انه يعلم القرآن وانه من اهل المعرفة ، أبى ان يكتب تفسيراً بحذاء تفسيري. وكان غبياً ولو كان كالهمذاني او الحريري فما كان في وسعه أن يكتب كمثل تحريري. ومع ذلك كان يخاف الناس وكان يعلم انه ان تخلف فلا غلبة ولا جحاس (١). فكاد كيداً وقال : اني سوف اكتب التفسير كما أشير ، ولكن بشرط ان تباحثني قبله بنصوص الاحاديث والقرآن ويحكم من كان لك عدواً وأشد بغضاً من علماء الزمان *. فان صدقني وكذبك بعد سماع البيان فعليك ان تبايعني بصدق الجنان. ثم نكتب التفسير ولا تعتذرون تترك الاقاويل. وانا قبلنا شرطك ومازدنا إلا القليل.

هذا ماكتب إلي وطبعه وأشاع بين الاقوام واشتهر انه قبل الشرائط وما كان هذا إلا كيداً لأغلاط العوام. ولما جاءني مكتوبه المطبوع وكيده المصنوع ، قلت انا لله ولعنت ما أشاع وتأسفت على وقت ضاع. ثم انه استعمل كيداً آخر ورحل من مكانه وسافر ، ووصل لاهور وأثار النقع كالثور وارجفت الالسنة انه ماجاء إلا ليكتب التفسير في النور.

فلما رأيت انهم حسبوا الدودة ثعبانا والشوكة بستانا ، قلت في نفسي ان نذهب الى لاهور فأي حرج فيه ، لعل الله يفتح بيننا ويسمع الناس مايخرج من فينا وفيه. فشاورت صحبتي في الأمر وكشفت عندهم عن هذا السر ، واستطاعت ماعندهم من الرأي وسردت لهم القصة من المبادئ الى الغاي. فقالوا لانرى ان

---

(١) جحس الجلد : قشره وخدشه. وجاحس غيره : زاحمه او قاتله.

* أراد بذلك الرجل محمد حسين البتالوي.

تذهب الى لاهور وان هو إلا محل الفتن والجور، وقد تبين انه ما قبل الشروط وأرى الضمور والمقوط* وتشحط بدمه وما رأى سبيل الخلاص الا الشحوط وهمط غمط وماذبح كبش نفسه وما سمط وماقمط. وانا سمعنا انه ماجاء بصحة النية وليس فيه رائحة من صدق الطوية. هذامارأينا والامر إليك والحق ما أراك الله ومارأيت بعينيك.

وكذلك كانت جماعتي يدعونني ويردعونني ويصرون علي ويكفونني حتى تلويت عمانويت وحبب الي رأيهم فقبلت وماأبيت وتركت ماردت وطويت الكشح عما قصدت.

ثم طفق المخالفون يمدحونه على فتح الميدان ويطيرونه من غير جناح العرفان. وكانوا يكذبون ولا يستحيون. ويتصلفون ولا يتقون ويفترون ولا ينتهون. وينسبون اليه بحار محامد ما استحقها وأبكار معارف مااسترقها. وكانوا يسبونني كما هي عادة السفهاء ويذكرونني بأقبح الذكر وبالاستهزاء، ويقولون ان هذا الرجل هاب شيخنا وخاف وأكله الرعب فماحضر المصاف. وماتخلف إلا لخطب خشي وخوف غشي. ولو بارز لكلمه الشيخ بأبلغ كلمات وشج رأسه بكلام هو كالصفاة في الصفات. وكذلك كانوا يهذرون ويستهزؤن بي ويسبون.

وو الله لا أحسب نفسي الا كميت ترب او كبيت خرب. والناس يحسبونني شئيا ولست بشيء. وما انا الا لرى كفيء. وما كان لي ان ابارز وادعو العدا. ولكن الله اخرجني لهذا الوغى. وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى. ولي حب قدير واعانته تكفيني. ومت فظهر الحب بعد تجهيزي وتكفيني. ووهب لي بعد،وني

---

* المقوط هنا بمعنى الضمور. والشحوط: البعد. همط الرجل: ظلم. سمط الجدى: نظفه من الشعر. قمط: شد القوائم عند الذبح.

كلاماً كالرياض . وقولاً أصفى من ماء يسيح في الرضراض (١). وحجة بالغة تلدغ الباطل كالنضناض . وكلها من ربي وما انا الا خاوي الوفاض وأمرت ان انفق هذه الاموال على الأوفاض وان ارمّ جدر ان الاسلام قبل الانقضاض و من بارزني فقد بارز الله رب العالمين . وماجئت الا بزى المساكين وما اجيز حزناً من حولي ولا بطناً من جولي بل معي قادر يواري عيانه ويرى برهانه فلأجل ذلك تحامت العداعن طريقي وقطعت النحور والاعناق من منجنيقي ومالأحد بمقاومتي يدان. ويدي هذه تعمل تحت يد الله الرحمن. نزلت علي بركات هى حرز للصالحين فجمعت بها لنفسى التحصين والتحسين

ومن نوادر ما اعطى لي من الكرامات ان كلامي هذا قد جعل من المعجزات فلوجهز سلطان عسكراً من العلماء ليبارزوني في تفسير القرآن وملح الأنشاء فو الله اني ارجو حضرة الكبرياء ان يكون لي غلبة وفتح مبين على الأعداء . ولذلك بثثت الكتب وأشعت الصحف النخب فى الاقطار وحششت على هذه المصارعة كل من يزعم نفسه من ابطال هذا المضمار وما كان لأحد من علماء هذه الديار ان يبارزني فيما دعوتهم باذن الله القهار، فما انت وماشأنك ايها المسكين الجولروي؟ أتتغاوي علي باخلاط الزمر وأوباش الناس ايها الغوي ؟

أيها الغافل اعلم ان السماء أهدتك إلي لتكون نموذج عبرة في الارضين وقادك الي القدر ليرى الناس ربي قدر المقبولين وانا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . ايها المسكين لا تقل غير الصدق ولاتشهد لغير الحق واتق الله ولا تكن من المجترئين . أأنت تجد في نفسك قدرة على تفسير القرآن برعاية ملح

(١) الرضراض : ماصغرودق من الحصى

الأدب ولطائف البيان ؟ سبحان ربي ان هذا الا كذب مبين

وانت تعلم مبلغ علمك وتعلم علم من معك ومن تبعك ثم تدعى الفضل كالماكرين ويعلم العلماء انك لست رجل هذا الميدان ولكنهم يكتمون عوارك كما يكتم الداء الدخيل ويسعى للكتمان . فحاصل الكلام انك لست أهل هذا المقام ، وما علمك الله العلم والأدب من لدنه موهبة وما اقتنيت المعارف مكتسبة ومع ذلك لما حللت لاهور ادعيت كأنك تكتب التفسير فى الفور. تعاميت وما رأيت عند غلوائك وفعلت مافعلت وسدرت في خيلائك وخدعت الناس باغلوطاتك ولو نتهم بالوان خزعبيلاتك وخدعت كل الخدع حتى أجاح القوم جهلاتك واهلك الناس حيواتك. ثم ماتركت دقيقة من الأغلاظ والازدراء وتفردت فى كمال الزراية والسب والهذر والاستهزاء . وما قصدت لاهور إلا لطمع فى محامد العامة ولتعد في اعينهم من حماة الملة ومن مواسي الدين ومعالجي هذه الغمة ببذل المال والهمة . ولعلك تأمن بهذا القدر حصائد الالسنة ولا ترهق بالتبعة والمعتبة ، وليحسب الناس كانك منزه عن معرة اللكن ولست كعنين في رجال اللسن وليظن العامة الذين هم كالانعام أنك رزقت من كل علم وأنعمت من انواع الانعام وأعطيت بصيرة تدرك منتهى العرفان وإصابة تكمل دائرة البيان وفهما كفهم ذواد عن الزيغ والطغيان وعقلاً كبازي يصيد طير البرهان ونطقا مؤيدا بالحجج القاطعة المنيرة ونفساً متحلية بأنواع المعارف وحسن السريرة وتوفيقاً قائداً الى الرشد والسداد وإلهاماً مغنياً عن غير رب العباد . ثم ما بقى منك من تحميدك كمله صحبك في تأييدك وأنشد الاشعار فى ثنائك وماتركوا دقيقة فى اطرائك . ثم سبوني وحقروني بعد رفعك وإعلائك وكانوا لا يلاقون احداً ولا يوافون رجلا إلا ويذكرونني عندهم استخفافا وأكلوا لحمي

بالغيبة فما أكلوا الا سماً زعافا فلما بلغت إها نتهم منتهاها وكلمني كلمهم بمداها ووصل الأمر الى مداها ورأيت انهم جاروا كل الجور وأثاروا كالثور وتركوا طريق الانصاف وسلكوا مسلك الاعتساف وكثر الهذر والهذيان وملئت بكلمات السب القلوب والآذان وتاهت الخيالات وكذبت المعارف وصدقت الجهلات. ألقي في روعي ان أنجي العامة من اغلوطاتهم وأطفي بقول فيصل ما سعروا بتزهاتهم واكتب التفسير وأري الصغير والكبير أنهم كانوا كاذبين

وماحملني على ذلك الاقصد افشاء كذب هذا المكار فانه مكر مكراً كبارا وأظهر كأنه من العلماء الكبار وادعى انه يعلم القرآن وفاق الأقران وحان ان يغلب ويعان. والغرض من تفسيري هذا تفريق الظلام والضياء وإراءة تضوع المسك بحذاء جيفة البيداء واظهار خدع الخادع ومواساة الرجال والنساء والاشفاق على العمى ومتبعي الاهواء وقضاء خطب كان كحق واجب ودين لازم لا يسقط بدون الاداء فهذا هو الأمر الداعى الى هذه الدعوة مع قلة الفرصة ليكون تفسير الفرقان فرقانا بين اهل الهدى واهل الضلالة. ولولا التصلف وتطاول اللسان واظهار شجاعة الجنان من هذا الجبان لمررت بلغوه مرور الكرام وما جعلته غرض السهام ولكنه هتك ستره بيديه فكان منه ماورد عليه وانه كذب كذباً فاحشاً وماخاف بل خدع وزور وأغرى علي الاجلاف. وزعم نفسه كأنه صاحب الخوارق والكرامات وعالم القرآن وشارب عين العرفان ومالك الدقائق والنكات. فوجب علينا ان نري الناس حقيقة ماادعاه ونظهر ما أخفاه ولولا الامتحان لصعب التفريق بين الجماد والحيوان. وكنت اقدر ان أري ظالعه كالضليع وحمره كالأفراس ولكن هذا مقام العماس لا وقت

عفو عثار الناس، والمتكبر ليس بحري ان يقال عثاره ويستر عواره، وكذلك لا يليق به ان يعرض عن ذلك الخصام و يستقيل من هذا المقام مع دعاوي العلم و كونه من العلماء الكرام، بل ينبغي ان يسبر عقله و يعرف حقله، وقد ادعى أنه صبغ نفسه بالوان البلاغة كجلود تحلى بالدباغة. فان كان هذا هو الحق ومن الامور الصحيحة الواقعة، فأي خوف عليه عند هذه المقابلة؟ بل هو محل الأبشار والفرحة لا وقت الفزع والرعدة فان كمالاته المخفية تظهر عند هذا الامتحان والتجربة، و يرى الناس كلهم ما كان له مستوراً من الشان والرتبة.

ومن المعلوم ان قيمة المرء الكامل يزيد عند ظهور كماله كما ان البئر يحب و يؤثر عند شرب زلاله. ولا يخفى ان القادر على تفسير القرآن يفرح كل الفرح عند السؤال عن بعض معارف الفرقان فانه يعلم ان وقت إشراق كوكبه جاء، وحان ان يعرف ويخزي الاعداء، فلا يحزن ولا يغتم اذا دعي لمقابلة ونودي لمناضلة بل يزيد مسرة و يحسبها لنفسه كبشارة او كتفاؤل لأمارة. فان العالم الفاضل لا يقدر حق قدره إلا بعد رؤية انوار بدره، ولا يخضع له الاعناق بالكلية إلا بعد ظهور جواهره المخفية.

وانا اخترنا الفاتحة لهذا الامتحان، فانها ام الكتاب، ومفتاح الفرقان، ومنبع اللؤلؤ والمرجان، و كوكنة لطير العرفان. وليكتب كل منا تفسيرها بعبارة تكون من البلاغة في أقصاها، و تنير القلب وتضاهي الشمس في بعض معناها، ليرى الناس من اقتعد مناغارب الفصاحة وامتطى مطايا الملاحة، وليعرف أريب حداه العقل الى هذا الأرب ويعلم أديب ساقه الفهم الى رياض العرب، وليضمر كل منا لهذا المراد كل ماعنده من الجياد ويفري كل طريق من الوهاد

والنجاد بزاد اليراع والمداد ليشاهد الناس من تداركه العناية الالهية واخذ بيده اليد الصمدية .

ومن كان يزعم نفسه انه هو العالم الرباني فليس عليه بعزيز ان يكتب تفسير السبع المثاني مع رعاية ملح الأدب وشوارد المعاني . ثم إني أرخيت له الزمام كل الارخاء ووسعت له الكلام لتسهيل الأنشاء . وكتبت من قبل في صحيفة أشعتها ونميقة اليه دفعتها ، ان ذلك الرجل الغمر إن لم يستطع ان يتولى بنفسه هذا الأمر فله ان يشرك به من العلماء الزمر أو يدعو من العرب طائفة الادباء ، او يطلب من صلحاء قومه همة ودعاء لهذه اللاواء . وماقلت هذا القول إلا ليعلم الناس أنهم كلهم جاهلون ولا يستطيع احدمنهم ان يكتب كمثل هذا ولا يقدرون. وليس من الصواب ان يقال ان هذا الرجل المدعو كان عالمًا في سابق الزمان واما فى هذا الوقت فقد انعدم علمه كثلج ينعدم بالذوبان ونسج عليه عناكب النسيان . فان العلم الذى ادعاه وحفظه ووعاه وقرأه وتلاه لا بد ان يكون له هذا العلم كدر رباه او كسراج أضاء بيته وجلاه فكيف يزول هذا العلم بهذه السرعة ويخلو كظرف منثلم وعاء الحافظة وتنزل آفة منسية على المدارك والجنان حتى لا يبقى حرف على لوحها الى هذا القدر القليل من الزمان ؟ وكيف تهب صراصر الذهول على علوم كسبت بشق النفس والقحول ؟ ولو فرضنا ان آفة النسيان أجاح شجرة علمه من البنيان وسقطت على زهر درايته صواعق الحرمان فكيف نفرض ان هذا البلاء ورد على الوف من العلماء الذين جعلوا له كالشركاء وأشركوا فى وزره كالوزراء ، بل أذن له ان يطلب كل ما استيسر له من الادباء ، لعله يكتب قولاً بليغًا ولا يتيه كالناقة العشواء ؟ ثم من المسلم به ان الله يربى عقول الصالحين ، ويسعدهم بالهداية الى طرق الروحانيين ،

و يذكرهم اذا ما ذهلوا معارف كلام الله القدوس . و ينزل السكينة عند الزلزال على النفوس . و يؤيدهم بروح منه . ويعضد بالأعانة على الابانة . ويتولى أمورهم ويميزهم بالحصاة والرزانة ويصرفهم من السفاهة ويعصمهم من الغواية ويحفظهم في الرواية والدراية. فلايقفون موقف مندمة ولا يرون يوم تندم و منقصة ولا تغرب انوارهم ولا تخرب دارهم. منابعهم لاتغور وصنائعهم لا تبور . و يؤيدون في كل موطن وينصرون. ويرزقون كل معرفة ومن كل جهل يبعدون. ولايموتون حتى تكمل نفوسهم فاذا كملت فألى ربهم يرجعون. فان الله نور فيميل الى النور وعادته البدور (١) الى البدور (٢) .

ولما كانت هذه عادة الله باوليائه و سنته بعباده المنقطعين وأصفيائه لزم ان لايرى عبده المقبول وجه ذلة ولا ينسب الى ضعف وعلة عند مقابلة من اهل ملة ويفوق الكل عند تفسير القرآن بانواع علم ومعرفة . وقد قيل ان الولي يخرج من القرآن والقرآن يخرج من الولي وان خفايا القرآن لاتظهر إلا على الذي ظهر من يدي العليم العلي . فان كان رجل ملك وحده هذا الفهم الممتاز فمثله كمثل رجل أخرج الركاز وما بذل الجهد وما رأى الارتماز * فهو ولي الله وشانه اعظم وذيله أرفع من همز الهماز ولمز اللماز . وما أعطى هذا الولي الفاني من معارف القرآن كالجهاز فهو معجزة بل هو اكبر من كل نوع الاعجاز . واي معجزة اعظم من أعجاز قد وقع ظل القرآن وشابه كلام الله في كونه أبعد من طاقة الانسان ؟ . وليس هذا الوطن الا للمتقين ولا تفتح هذه الابواب الاعلى الصالحين ولا يمسه الا الذي كان من المطهرين وان الله لايهدي كيد الخائنين.

---

(١) الأسراع الى الشيء (٢) جمع البدر وهو القمر الممتلىء * الاضطراب

الذين يجعلون المكائد منتجعا والاكاذيب كهفًا ومرجعاً ، ولهم قلوب كليل اردف أذنابه وظلام مدّ الى مدى الابصار أطنابه. لا يعلمون ما القرآن وما العلم والعرفان. ومن لم يعلم القرآن وما اوتى البيان فهو شيطان او يضاهي الشيطان وماعرف الرحمن. وما كان لفاسق ان يبلغ هذه المنية العلية ولو شحذ اليها النفس الدنية . بل هو يختار طريق الفرار خوفاً من هتك الاستار وظهور العثار . وكذلك فعل هذا الرجل الكائد والمزور الصائد . فانظروا كيف زور وأرى التهور . وقال لبيت الدعوة وما لبى وقال عبيت العسكر للخصام وما عبى . ومابارز بل خدع وخب والي جحره أب . وترائى نحيفا ضعيفا وكان يرى نفسه رجلا ببا . وأخلد الى الارض وشابه الضب . وما صعد وماثب وجمع الأوباش وما دعا الرب . وحقرنى وشتم وسبّ وتبع الحيل وما صافى الله وماأحب . وما قطع له العاق وماجب . وقال اني عالم والآن نجم علمه أزب وكل مادبرتب . وان كان عالمًا فأي حرج على عالم ان يفسر سورة من سور القرآن و يكتب تفسيره فى لسان الفرقان ؟ بل يحمد لهذا ويثني عليه بصدق الجنان ويعلم انه من رجال الفضل والعلم والبيان ويشكر بما ينفع الناس من معارف علّم من الرحمن. فلذلك اقول انه من كان يدعى ذري المكان المنيع فليبذل الآن جهد المستطيع ويثبت نفسه كالضليع. ولاشك ان اظهار الكمال من سيرة الرجال وعادة الابطال ، لينتفع به الناس وليخرج به مسكين من سجن الضلال . ولايرضى الكامل بأن يعيش كمجهول لا يعرف ونكرة لا تعرف وان الفضل لا يتبين إلا بالبيان ولا تعرف الشمس الا بالطلوع على البلدان .

واني الزمت نفسي ان اكتب تفسيري هذا فى إثبات ما ارسلت به من الحضرة وان أفتتح هذه الابواب بعفا تيح الفاتحة ، مع لطائف البيان ورعاية الملح

الأدبية والتزام الفصاحة العربية .

ومن المعلوم ان نمق الدقائق الدينية والرموز العلمية والايماضات والاشارات مع توشيح العبارات وترصيع الاستعارات والتزام محاسن الكنايات وحسن البيان ولطائف الايماءات أمر تُعدّ من المعضلات وخطب حسب من المشكلات. وماجمع هذين الضدين إلا كتاب الله مظهر الآيات البينات وماحي الاباطيل والجهلات . وان الشعراء لايملكون أعنة هذه الجياد فتنتشر كلماتهم انتشار الجراد. ولكني سألت الله فأعطاني وجئته عطشان فأرواني . فنحن الموفقون ونحن المؤيدون. تؤاتينا الاقلام كأنها السهام أو الحسام. ولنا من ربنا كلام تام وظل ظليل فكل رداء نرتديه جميل. ولناجبلة لا تبلغها الجبال وقوة لا تعجزها الاثقال، وحال لا تغيرها الاحوال ورب لا ترد من حضرته الآمال .

فحاصل الكلام اني من الله وكلامي من هذا العلام . واني كتبت دعواي ودلائلها فى هذا الكتاب لأسعف الخصم بحاجته وأنجيه من الاضطراب فان الخصم كان يدعوني الى المباحثات بعد ما دعوته لنمق التفسير فى حلل البلاغة ومحاسن الاستعارات . فلما لويت عذاري وتصديت لاعتذاري من المناظرات، حمل إنكاري على فراري من هذه الغزاة وما كان هذا إلا كيداً منه وحيلة للنجاة ليستعصم من اللائمين واللائمات . وكان يعلم ان إعراضي كان لعهدسبق وما كنت كعبد أبق . ولكنه طلب الفرار بهذه المعاذير الكاذبة لعل الناس يفهمونه بطل المضمارو متم الحجة . فأردنا الآن ان نعطيه ماسأل ولانرده بالحرمان ، ونجلي مطلع صدقنا بنور البرهان ونقطع معاذيره كلها بسيف البيان لعل الله يجلو به صدأ الاذهان ويفهم مالم يفهموه قبل هذا الميدان فهذا هو السبب الموجب لنمق الدعوى

والدلائل لئلا يبقى عذر للسائل

وان هذا التفسير جمع المباحثات مع اللطائف والنكات فاليوم أدرك الخصم كل ماطاب منا فى حال المناظرات مع انه ترك طرق الديانات وتصدى للأمر بانواع الاهتضام والخيانات ، وبقي ديننا فعليه ان يقضي الدين كرد الامانات . واني عاهدت الله أن لن احضر مواطن المباحثات وأشمت هذا العهدفي التأليفات فما كان لي ان انكث العهود واعصى الرب الودود ، فلأجل ذلك اغلقت هذا الباب وماحضرت الخصم للبحث ولو عيبني واغتاب . واني كلمته كالخليط فكلمني بالتخليط . وقد دعوته من قبل ففرّ من شوكتي ثم دعوته فهابه هيبتي وهذه ثالثة ليتم عليه حجة الله وحجتى . انه مال الى الزمر وملنا إلى الذمار وان المعارف منا كبعوث جمروا على الثغور من قبل ملك الديار .

ثم اعلموا ان رسالتي هذه آية من آيات الله رب العالمين وتبصرة لقوم طالبين. وانها من ربي حجة قاطعة وبرهان مبين . كذلك ليذيق الأفاكين قليلاً من جزاء ذنوبهم ، ويرى الناس ما ترشح من ذنوبهم ، و يجنبهم بمعجزة قاهرة ، ويزيل اضطجاع الامن من جنوبهم ، ويستأصل راحة كاذبة من قلوبهم .

والحق والحق اقول ان هذا كلام كانه حسام وانه قطع كل نزاع ومابقى بعده خصام . ومن كان يظن انه فصيح وعنده كلام كأنه بدر تام فليأت بمثله والصمت عليه حرام . وان اجتمع آباءهم وابناءهم واكفاءهم وعلماءهم وحكماءهم وفقهاءهم على ان يأتوا بمثل هذا التفسير فى هذا المدى القليل الحقير لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض كالظهير . فاني دعوت لذلك وان دعائي مستجاب . فلن يقدر على جوابه كتاب ، لاشيوخ ولا شباب . وانه كنز المعارف ومدينتها ،

وماء الحقائق وطينتها . وقد جاء ألطف صنعاً وأرق نسجاً وأكثر حكماً وأشرف لفظاً وأقل كلماً وأوفر معنى وأجلى بيانا وأسنى شأناً . وما كتبته من حولي واني ضعيف و كمثلي قولي بل الله . والطافه أغلاق خزائنه ومن عنده اسرار دفائنه . جمعت فيه انواع المعارف ورتبت . وصففت شوارد النكات والجمت . من عرفه عرف القرآن ومن حسبه كذباً فقد مان . فيه باكورة العرفان ودقائق الفاتحة والفرقان . وفيه بلاد الأسرار وحصونها ، وسبل الحقائق وحزونها ، وعيون البصيرة وعيونها ، وخيل البراهين ومتونها . وذلك من بركات ام الكتاب وما اطلعت عليها إلا بعد تفهيم ربي التواب. فانها سورة لا تطوى عرصتها بأنضاء المراكب ولا يبلغ نورها نور الكواكب .

ولما كان الظالمون نسبوني الى الهزيمة أعوزني فريتهم هذه الى تفسير سورة الفاتحة لأخلص نفسي من النواجذ والأنياب فان صول الكلاب أدون من صول المفتري الكذاب . وهذا من فضل الله ورحمته ليكون آية للمؤمنين و حسرة على المنكرين وحجة على كل خصم الى يوم الدين وهدى للمتقين . وليعلم الناس ان الفوز بصدق المقال لا بالتصلف كالجهال ، والفتح بطهارة البال لا بعذرة الاقوال التي هي كالابوال ، وصلاح الحال بسلاح العلم والكمال لا بالاحتيال و الاختيال . فويل للذين قصدوا الفتح بالمكايد ورصدوا مواضعها كالصائد وان هو إلا من أحكم الحاكمين . ينصر من يشاء و يكفل الصالحين فيندمل جرحهم و يستريح طليحهم ولا تركد ريحهم ولا تخمد مصابيحهم . ومنه وره تملأ من علم الفرقان ولسان العرب كما تملأ الدلو الى عقد الكرب (١) . وانه انا ولا فخر .

---

(١) حبل يصل رشاء الدلو بالخشبة المعترضة عليها .

وان دعائي يذيب الصخر . وان يومي هذا يوم الفتح ويوم الضياء بعد الليلة الليلاء . اليوم خرس الذين كانوا يهذرون وغلت ايديهم الى يوم يبعثون. وكنت اطوف حول هذه الاوراق كسائل يطوف فى السكك والأسواق ، فأراني الله ما أراني وسقانى ماسقانى فوافيت دروبها كما هدانى . وأعطى لي ماسألت وفتح علي نحلات. وكل مارقمت فهو من أنفاس العلام لا من افراس الاقلام ، فما كان لي ان اقول انى أعلم من غيري أو زاد منهم سيرى . ولا اقول ان روحي التف بأرواح فتيان كانوا من الادباء أو غالت نفسي جميع نفائس الانشاء . ولا ادعى اني انتهيت الى فناء منتهى الأدب او أكلت كل باكورة من المعاني النخب بل دعوت مخدراته فوافتني فتياته فقبلهن فتاه مفترة شفتاه متهللاً محياه. فلا تستطلعوني طلع اديب وما انافى بلدة الأدب إلا كغريب ، وكل ماترون مني فهو من تأييد ربي ومن حضرة ألقيت بها جراني وحملت اليها اربى،وانه فى العقبي وهذه حبي. واني مسيحه وحمارى حمارة * حفظه ، ولطفه قتبي . ولولا فضل الله ورحمته لكان كلامي ككلام حاطب ليل او كغثاء سيل . ووالله انى ما قدرت على هذا بقريحة وقادة بل بفضل من الله وسعادة . وان هذه المخدرة ماسفرت عن وجهها بيدي القصيرة ولكن بفضل الله وعناياته الكثيرة . فانه رأى الاسلام كسقيم فى موماة فيه رمق حياة ساقطاً على صلاية كقذائف فلوات . وعلاه صغار وعليه اطار ، فأدركه كأدراك عهاد لسنة جماد ، ورحض وجهه وأزال وسخ مثين وصبّ عليه الماء المعين فبعث عبداً من عباده لأتمام الحجة وأودع كلامه اعجازاً ليكون ظلاً للمعجزة النبوية عليه الوف الصلوات والتحية . ولا يمس منه منقصة

* الصخرة العظيمة .

شأن كلام رب الكائنات فان الكرامات أظلال للمعجزات. وكذلك دمر الله كلما دبر العدا كالصائد وهدم كل ما بنوا من المكايد. وأبطل كلما حققوا مكيدة وأخر كلما قدحوا حربة وعطل كل ما نصبوا حيلة. وهدم كلما أشادوا بروجاً مشيدة. وأطفأ كلما أوقدوا نارا. وأغلق الدروب كلما ارادوا فراراً. فما كان في وسعهم ان يبارزوا كأبطال المضمار أو يخرجوا من هذا السجن بتسور الخنادق والاسوار. وما قدموا قدماً إلا رجعوا بانواع النكال حتى جاء وقت هذا التفسير الذي هو آخر نبل من النبال. وانا كملناه بفضل الله ذى الجلال. وجاء أرسى وأرسخ من الجبال. وصار كحصن حصين بنى بالاحجار الثقال. وانه بلغ حد الأعجاز من الله الفعال وانه محفوظ من قصد العدو الدحور الضال. وانتصفنا به من العدا بعض الانتصاف وكسرنا خياماً ضربوها وقبابا نصبوها فى المصاف. وكان هذا الامر صعبا ولكن الله ألان لي شديدا وأدنى إلي بعيدا. ونقل العدو من السعة الى المضايق وأعمى ابصاره وصرف همته عن العلوم والحقائق. وألقى الرعب فى قلوبهم وأخذهم بذنوبهم. فنبذوا سلاحهم وتركوا لقاحهم وأنفدوا وجاحهم وقوضوا قبابهم وثلوا جعابهم ونفضوا جرابهم وأروا من العجز أنيابهم.

وأذن لهم ان يأتوا بجميع جنودهم من خيلها ورجلها وحفلها وجحفلها وزمرها وقوافلها فصاروا كميت مقبور او زيت سراج احترق ومابقى معه من نور. وسكتنا من بارز من صغيرهم وكبيرهم وأوكفنا من نهق من حميرهم فما كانوا ان يتحركوا من المكان أو يميلوا من السنة الى السنان بل جربنا من شرخ الزمن الى هذا الزمان ان هؤلاء لا يستطيعون ان يبارزونا فى الميدان وليس فيهم الا السب والشتم قاعدين في الحجرات كالنسوان. يفرون من كل مأزق ويتراءى اطار من

تحت يلمق (١) . ثم لا يقرون ولا يتندمون ولا يتقون الله ولا يرجعون . فهذا التفسير عليهم سهم من سهام وكلم بكلام لعلهم يتنبهون والى الله يتوبون .

وانا شرطنا فيه ان لا يجاوز فريق منا سبعين يوماً ومن جاوز فلن يقبل تفسيره ويستحق لوماً . وكذلك من الشرائط ان لا يكون التفسير أقل من اربعة اجزاء وهذه شروط بيني وبين خصمي على سواء . وقد شهرناها من قبل و بلغناها الى الأحباب والاعداء بعد الطبع والاملاء .

والآن نشرع في التفسير بعون الله النصير القدير . ورتبناه على ابواب لئلا يشق على طلاب ومع ذلك سلكنا مسلك الوسط ليس بايجاز مخل ولا إطناب ممل . وانه له عن هذا العاجز كالعجزة وأخرج من رحم القدر برحم من الله ذى العزة فى أيام الصيام وليالي الرحمة . وسميته إعجاز المسيح فى نمق التفسير الفصيح . و انى أريت مبشرة في ليلة الثلاثاء اذ دعوت الله ان يجعله معجزة للعلماء ودعوت ان لا يقدر على مثله احد من الأدباء ولا يعطى لهم قدرة على الانشاء ، فأجيب دعائى فى تلك الليلة المباركة من حضرة الكبرياء . وبشرنى ربى و قال : منعه مانع من السماء . ففهمت انه يشير إلى ان العدا لا يقدون عليه ولا يأتون بمثله ولا كصفتيه . و كانت هذه البشارة من الله المنان فى العشر الآخر من رمضان الذي أنزل فيه القرآن . ثم بعد ذلك كتب فيه هذا الفسير بعون الله القدر .

رب اجعل أفئدة من الناس تهوي اليه واجعله كتاباً مباركاً وأنزل بركات من لدنك عليه فانا توكلنا عليك فانصرنا من عندك وأيدنا بيديك وكفل أمرنا

---

(١) اليلمق : القباء

كما كفات السابقين من الصالحين . واستجب هذه الدعوات كلها وانا جئناك متضرعين فكن لنا فى الدنيا والدين . آمين .

الباب الأول

فى ذكر أسماء هذه السورة وما يتعلق بها

اعلم ان هذه السورة لها اسماء كثيرة فأولها فاتحة الكتاب، وسميت بذلك لانه يفتتح بها فى المصحف وفى الصلوة وفى مواضع الدعاء من رب الأرباب . و عندى انها سميت بها لما جعلها الله حكما للقرآن وملئ فيها ما كان فيه من أخبار ومعارف من الله المنان . وانها جامعة لكل مايحتاج الانسان اليه فى معرفة المبدء والمعاد كمثل الاستدلال على وجود الصانع وضرورة النبوة والخلافة في العباد . ومن أعظم الاخبار واكبرها أنها تبشر بزمان المسيح الموعود وأيام المهدي المعهود ، وسنذكره في مقامه بتوفيق الله الودود . ومن أخبارها انها تبشر بعمر الدنيا الدنية وسنكتبه بقوة من الحضرة الأحدية .

وهذه هى الفاتحة التي أخبر بها نبي (١) من الانبياء وقال رأيت ملكا قويا نازلا من السماء وفي يده الفاتحة على صورة الكتاب الصغير فوقع رجله اليمنى على البحر واليسرى على البر بحكم الرب القدير . وصرخ بصوت عظيم كما يزأر الضرغام وظهرت الرعود السبعة بصوته وكل منها وجد فيه الكلام وقيل اختم على

(١) راجع سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى: الأصحاح العاشر والاصحاح الخامس ايضاً
ابو العطاء

ماتكلمت به الرعود ولا تكتب كذلك قال الرب الودود. الملك النازل أقسم بالحي الذي أضاء نوره وجه البحار والبلدان ان لا يكون زمان بعد ذلك الزمان بهذا الشان . وقد اتفق المفسرون ان هذا الخبر يتعلق بزمان المسيح الموعود الرباني. فقد جاء الزمان وظهرت الاصوات السبعة من السبع المثاني. وهذا الزمان للخير والرشد كآخر الأزمنة ولا يأتي زمان بعده كمثله فى الفضل والمرتبة . و إنا إذا ودعنا الدنيا فلا مسيح بعدنا الى يوم القيامة ولا ينزل احد من السماء ولا يخرج رأس من المغارة إلا ماسبق من ربي قول فى الذرية * . وان هذا هو الحق و قد نزل من كان نازلاً من الحضرة و تشهد عليه السماء والارض ولكنكم لا تطلعون على هذه الشهادة وستذكرونني بعد الوقت و السعيد من أدرك الوقت وما أضاعه بالغفلة

ثم نرجع إلى كلمتنا الأولى فاسمعوا مني يا اولي النهى ان للفاتحة اسماء اخرى منها سورة الحمد بما افتتح بحمد ربنا الأعلى ومنها ام القرآن بما جمعت مطالبه كلها بأحسن البيان وتأبطت كصدف درر الفرقان وصارت كعش لطير العرفان فان القرآن جمع علوماً أربعة فى الهدايات : علم المبدأ وعلم المعاد وعلم النبوة و علم توحيد الذات والصفات . ولا شك ان هذه الأربعة موجودة في الفاتحة أو مؤوودة في صدور أكثر علماء الامة ، يقرؤنها وهى لا تجاوز من الحناجر لا يفجرون أنهارها السبعة بل يعيشون كالفاجر

ومن الممكن ان يكون تسمية هذه السورة بأم الكتاب نظراً الى غاية التعليم في هذا الباب فان سلوك السالكين لا يتم إلا بعد ان يستولى على قلوبهم

* الحاشية : إليه اشارة فى قوله عليه السلام « يتزوج و يولد له » منه

عزة الربوبية وذلة العبودية ولن تجد مرشداً فى هذا الأمر كهذه السورة من الحضرة الأحدية. ألا ترى كيف أظهر عزة الله وعظمته بقوله الحمدلله رب العالمين الى مالك يوم الدين . ثم أظهر ذلة العبد وهوانه وضعفه بقوله إياك نعبد و إياك نستعين .

ومن الممكن ان يكون تسمية هذه السورة به نظراً الى ضرورات الفطرة الانسانية وإشارة إلى ماتقتضي الطبائع بالكسب او الجواذب الالهية فان الانسان يحب لتكميل نفسه ان يحصل له علم ذات الله وصفاته وأفعاله ويحب ان يحصل له علم مرضاته بوسيلة أحكامه التي تنكشف حقيقتها باقواله وكذلك تقتضي روحانيته ان تأخذ بيده العناية الربانية ويحصل بأعانته صفاء الباطن والانوار والمكاشفات الالهية .وهذه السورة الكريمة مشتملة على هذه المطالب بل وقعت بحسن بيانها وقوة تبيانها كالجالب .

ومن اسماء هذه السورة السبع المثاني وسبب التسمية انها مثنى نصفها ثناء العبد للرب ونصفها عطاء الرب للعبد الفاني. وقيل إنها سميت المثاني بما انها مستثناة من سائر الكتب الالهية ولا يوجد مثلها فى التوراة ولا في الانجيل ولا في الصحف النبوية . وقيل انها سميت مثاني لأنها سبع آيات من الله الكريم وتعدل قراءة كل آية منها قراءة سُبع من القرآن العظيم . وقيل سميت سبعاً إشارة الى الابواب السبعة من النيران ولكل منها جزء مقسوم يدفع شواظها باذن الله الرحمن، فمن أراد ان يمر سالمًا من سبع ابواب السعير فعليه ان يدخل هذه السبع ويستأنس بها ويطلب الصبر عليها من الله القدير . وكلما يدخل في جهنم من الاخلاق والاعمال والعقائد فهي سبع من حيث الأصول وهذه سبع لدفع هذه الشدائد .

ولها اسماء أخرى في الاخبار و كفاك هذا فانه خزينة الأسرار . ومع ذلك حصر هذا التعداد إشارة الى سنوات المبدأ والمعاد أعني ان آياتها السبع ايماء الى عمر الدنيا فانها سبعة آلاف ولكل منها دلالة على كيفية إيلاف . والألف الاخير في الضلال كبير وكان هذا المقام يقتضي هذا الاعلام كما كفلت الذكر الى معاد من ائتناف

وحاصل الكلام ان الفاتحة حصن حصين ونور مبين ومعلم ومعين . وإنها تحصن أحكام القرآن من الزيادة والنقصان كتحصين الثغور بامرار الامور . ومثلها كمثل ناقة تحمل كل ما يحتاج اليه وتوصل الى ديار الحب من ركب عليها وقد حمل عليها من كل نوع الازواد والنفقات والثياب والكسوات . او مثلها كمثل بركة صغيرة فيها ماء غزير كأنها مجمع بحار أو مجرى قلهذم زخار . وانى أرى ان فوائد هذه السورة الكريمة ونفائسها لا تعد ولا تحصى وليس في وسع الانسان ان يحصيها وان أنفد عمراً في هذا الهوى . وان اهل الغي والشقاوة ما قدروها حق قدرها من الجهل والغباوة . وقرأوها فما رأوا طلاوتها مع تكرار التلاوة . وإنها سورة قوي الصول على الكفرة ، سريع الأثر على الافئدة السليمة . ومن تأملها تأمل المنتقد ودانها بفكر منير كالمصباح المتقد ألفاها نور الابصار ومفتاح الأسرار . وانه الحق بلا ريب ولا رجم بالغيب . وان كنت في شك فقم وجرب . واترك اللغوب والأين ولا تسئل عن كيف وأين . ومن عجائب هذه السورة انها عرفت الله بتعريف ليس في وسع بشر ان يزيد عليه فندعو الله ان يفتح بيننا وبين قومنا بالفاتحة وانا توكلنا عليه . آمين يارب العالمين .

الباب الثاني

في شرح ما يقال عند تلاوة الفاتحة والقرآن العظيم
أعني اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

اعلم يا طالب العرفان ! انه من أحل نفسه محل تلاوة الفاتحة والفرقان فعليه ان يستعيذ من الشيطان كما جاء في القرآن فان الشيطان قد يدخل حمى الحضرة كالسارقين ويدخل الحرم العاصم للمعصومين . فأراد الله ان ينجي عباده من صول الخناس عند قراءة الفاتحة و كلام رب الناس و يدفعه بحربة منه ويضع الفأس في الرأس ويخلص الغافلين من النعاس ، فعلّم كلمة منه لطرد الشيطان المدحور الى يوم النشور . وكان سر هذا الأمر المستور ان الشيطان قد عادى الانسان من الدهور وكان يريد إهلاكه من طريق الاخفاء والدمور . وكان أحب الاشياء اليه تدمير الانسان ، ولذلك الزم نفسه ان تصغى إلى كل أمر ينزل من الرحمن لدعوة الناس الى الجنان و يبذل جهده للاضلال والافتتان . فقدر الله له الخيبة والقوارع ببعث الانبياء وما قتله بل أنظره الى يوم تبعث فيه الموتى بأذن الله ذي العزة والعلاء . وبشر بقتله في قوله الشيطان الرجيم فتلك هي الكلمة التي تقرأ قبل قوله بسم الله الرحمن الرحيم . وهذا الرجيم هو الذي وردفيه الوعيد اعني الدجال الذي يقتله المسيح المبيد . والرجم القتل كما صرح به في كتب اللسان العربية فالرجيم هو الداجل الذي يغال في زمان من الازمنة الآتية . وعد من الله الذي يخول على

أهله ولا تبديل للكلم الالهية . فهذه بشارة للمسلمين من الله الرحيم وايماء الى انه يقتل الدجال في وقت كما هو المفهوم من لفظ الرجيم .

اشعار

ومعنى الرجم في هذا المقام * كما علمت من رب الأنام
هو الأعضال إعضال اللئام * وإسكات العدا كهف الظلام
وضرب يختلي أصل الخصام * ولا نعني به ضرب الحسام
ترى الاسلام كسّر كالعظام * وكم من خامل فاق العظام
فنادى الوقت أيام الأمام * لتنجى المسلمون من السهام
فلا تعجل وفكر في الكلام * أليس الوقت وقت الانتقام
أتى فوج الملائكة الكرام * بكف المصطفى أضحى الزمام

***

وقد أتى زمان تهلك فيه الاباطيل ولا يبقى الزور والظلام وتفنى الملل كلها الا الاسلام وتملأ الارض قسطاً وعدلاً ونوراً كما كانت ملئت ظلماً وكفراً وجوراً وزوراً . فهناك يقتل من سبق الوعيد لتدميره ولا نعني من القتل الا كسر قوته وتنجية أسيره

فحاصل الكلام ان الذي يقال له الشيطان الرجيم هو الدجال اللئيم و الخناس القديم وكان قتله امراً موعوداً وخطباً معبوداً ولذلك ألزم الله كافة اهل الملة

ان يقرؤا لفظ الرجيم قبل قراءة الفاتحة وقبل البسملة ليتذكر القارئ ان وقت الدجال لا يجاوز وقت قوم ذكروا فى آخر آية من هذه الآيات السبع . وكان قدر الله كتب من بدء الاوان انه يقتل الرجيم المذكور في آخر الزمان ويستريح العباد من لدغ هذا الثعبان فاليوم وصل الزمان الى آخر الدائرة وانتهى عمر الدنيا كالسبع المثاني الى السابعة من الألوف الشمسية والقمرية . اليوم تجلى الرجيم فى مظهر هوله كالحلل البروزية واختتم أمر الغي على قوم اختتم عليه آخر كلم الفاتحة . ولا يفهم هذا الرمز الا ذو القريحة الوقادة ولا يقتل الدجال الا بالحربة السماوية اي بفضل من الله لا بالطاقة البشرية فلا حرب ولا ضرب ولكن امر نازل من الحضرة الأحدية . وكان هذا الدجال يبعث بعض ذراريه فى كل مئة من مئين ليضل المؤمنين والموحدين والصالحين والقائمين على الحق والطالبين ويهدّ مباني الدين ويجعل صحف الله عضين . وكان وعد من الله انه يقتل فى آخر الزمان ويغلب الصلاح على الطلاح والطغيان وتبدل الارض ويتوب اكثر الناس الى الرحمن وتشرق الارض بنور ربها وتخرج القلوب من ظلمات الشيطان فهذا هو موت الباطل وموت الدجال وقتل هذا الثعبان.

أم يقولون انه رجل يقتل في وقت من الأوقات. كلا بل هو شيطان رجيم ابو السيئات يرجم في آخر الزمان بازالة الجهلات واستئصال الخزعبيلات . وعد حق من الله الرحيم كما أشير في قوله الشيطان الرجيم . فقد تمت كلمة ربنا صدقًا وعدلاً في هذه الأيام ونظر الله الى الاسلام بعد ما عنت به البلايا والآلام فأنزل مسيحه لقتل الخناس وقطع هذا الخصام . وما سمي الشيطان رجيما الا على طريق انباء الغيب فان الرجم هو القتل من غير الريب . ولما كان القدر قد جرى

في قتل هذا الدجال عند نزول مسيح الله ذى الجلال أخبر الله من قبل هذه الواقعة تسلية وتبشيراً لقوم يخافون أيام الضلال .

الباب الثالث

فى تفسير آية بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ! وهب لك الله علم أسمائه وهداك الى طرق مرضاته وسبل رضائه، ان الاسم مشتق من الوسم الذي هو أثر الكي في اللسان العربية . يقال اتسم الرجل اذا جعل لنفسه سمة يعرف بها ويميز بها عند العامة. ومنه سمة البعير ووسامه عند أهل اللسان وهو ماوسم به البعير من ضروب الصور ليعين للعرفان ومنه ما يقال اني توسمت فيه الخير وما رأيت الضيرأي تفرست فما رأيت سمة شر في محياه ولا أثر خبث في مخْياه. ومنه الوسمي الذي هواول مطر من امطار الربيع لأنه يسم الارض اذا نزل كالينابيع . ويقال أرض موسومة اذا أصابها الوسمي في إبانه وسكن قلوب الكفار بجريانه . ومنه موسم الحج والسوق وجميع مواسم الاجتماع لأنها معالم يجتمع اليها نوع غرض من الانواع . ومنه الميسم الذي يطلق على الحسن والجمال و يستعمل في نساء ذات ملاحة فى اكثر الاحوال. وقد ثبت من تتبع كلام العرب ودواوينهم انهم كانوا لا يستعملون هذا اللفظ كثيراً الا في موارد الخير من دنياهم ودينهم. وانت تعلم ان اسم الشيء

عند العامة ما يعرف به ذلك الشيء واما عند الخواص واهل المعرفة فلاسم لأصل الحقيقة لفيء، بل لاشك ان الاسماء المنسوبة الى المسميات من الحضرة الاحدية قد نزلت منها منزلة الصور النوعية وصارت كوكنات لطيور المعاني والعلوم الحكمية. وكذلك اسم الله والرحمن والرحيم في هذه الآية المباركة. فان كل واحد منها يدل على خصائصه وهويته المكتومة.

والله اسم للذات الالهية الجامعة لجميع انواع الكمال. والرحمن والرحيم يدلان على تحقق هاتين الصفتين لهذا الاسم المستجمع لكل نوع الجمال والجلال. ثم للرحمن معنى خاص يختص به ولا يوجد في الرحيم وهو انه مفيض لوجود الانسان وغيره من الحيوانات باذن الله الكريم بحسب ما اقتضى الحكم الالهية من القديم وبحسب تحمل القوابل لا بحسب تسوية التقسيم. وليس في هذه الصفة الرحمانية دخل كسب وعمل وسعي من القوى الانسانية او الحيوانية بل هي منة من الله خاصة ماسبقها عمل عامل ورحمته من لدنه عامة ما مسّها أثر سعي من ناقص او كامل.

فالحاصل ان فيضان الصفة الرحمانية ليس هو نتيجة عمل ولا ثمرة استحقاق بل هو فضل من الله من غير اطاعة او شقاق. وينزل هذا الفيض دائماً بمشيئة من الله وارادة من غير شرط إطاعة وعبادة وتقاة وزهادة. وكان بناء هذا الفيض قبل وجود الخليقة وقبل أعمالهم وقبل جهدهم وقبل سؤالهم فلأجل ذلك توجد آثار هذا الفيض قبل آثار وجود الانسان والحيوان وان كان ساريا في جميع مراتب الوجود والزمان والمكان والطاعة والعصيان. ألا ترى ان رحمانية الله تعالى وسعت الصالحين والظالمين وترى قمره وشمسه يطلعان على الطائعين والعاصين

وانه أعطى كل شيء خلقه وكفل امر كلهم اجمعين ومامن دابة إلا على الله رزقها ولو كان في السموات او فى الارضين . وانه خلق لهم الاشجار وأخرج منها الثمار والزهر والرياحين . وانها رحمة هيأها الله للنفوس قبل ان يبرأها وان فيها تذكرة للمتقين . وقد أعطى هذه النعم من غير العمل ومن غير الاستحقاق من الله الراحم الخلاق . ومنها نعماء اخرى من حضرة الكبرياء وهى خارجة من الاحصاء كمثل خلق أسباب الصحة وانواع الحيل والدواء لكل نوع من الداء ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب على الانبياء. وهذه كلها رحمانية من ربنا ارحم الرحماء و فضل بحت ليس من عمل عامل ولامن التضرع والدعاء .

واما الرحيمية فهى فيض أخص من فيوض الصفة الرحمانية ومخصوصة بتكميل النوع البشري و إكمال الخلقة الانسانية ولكن بشرط السعي والعمل الصالح وترك الجذبات النفسانية بل لا تنزل هذه الرحمة حق نزولها الا بعد الجهد البليغ فى الاعمال و بعد تزكية النفس وتكميل الأخلاص بأخراج بقايا الرياء وتطهير البال و بعد إيثار الموت لابتغاء مرضاة الله ذي الجلال . فطوبى لمن أصابه حظ من هذه النعم بل هو الانسان وغيره كالنعم

وههنا سؤال عضال نكتبه في الكتاب مع الجواب ليفكر فيه من كان من اولي الالباب . وهو ان الله اختار من جميع صفاته صفتي الرحمن والرحيم في البسملة وماذكر صفة أخرى فى هذه الآية مع ان اسمه الاعظم يستحق جميع ما هو من الصفات الكاملة كما هى مذكورة في الصحف المطهرة . ثم ان كثرة الصفات تستلزم كثرة البركات عند التلاوة فا لبسملة أحق وأولى بهذا المقام والمرتبة وقد ندب لها عند كل أمر ذي بال كما جاء في الاحاديث النبوية .

وانها أكثر ورداً على ألسن اهل الملة وأكثر تكراراً فى كتاب الله ذى العزة فبأي حكمة ومصلحة لم يكتب صفات اخرى مع هذه الآية المتبركة ؟

فالجواب ان الله أراد فى هذا المقام ان يذكر مع اسمه الأعظم صفتين هما خلاصة جميع صفاته العظيمة على الوجه التام وهما الرحمن والرحيم كما يهدى اليه العقل السليم ، فان الله تجلى على هـذا العالم تارة بالمحبوبية ومرة بالمحبية وجعل ها تين الصفتين ضياءً ينزل من شمس الربوبية على ارض العبودية . فقد يكون الرب محبوباً والعبد محبا لذلك المحبوب وقد يكون العبد محبوباً والرب محباً له وجاعله كالمطلوب . ولاشك ان الفطرة الانسانية التي فطرت على المحبة والخلة ولوعة البال تقتضي ان يكون لها محبوب يجذبها الى وجهه بتجليات الجمال والنعم والنوال وان يكون لها محب مواس يتدارك عند الاهوال وتشتت الاحوال و يحفظها من ضيعة الاعمال ويوصلها الى الآمال . فأراد الله ان يعطيها ما اقتضته ويتم عليها نعمه بجوده العميم فتجلى عليها بصفتيه الرحمن والرحيم*. ولاريب ان هاتين الصفتين هما الوصلة بين الربوبية والعبودية . وبهما تتم دائرة السلوك والعارف

---

* الحاشية : قد عرفت ان الله بصفته الرحمن ينزل على كل عبد من الانسان والحيوان والكافر واهل الايمان انواع الاحسان والامتنان بغير عمل يجعلهم مستحقين فى حضرة الديان. اذ لاشك ان الاحسان على هذا النوال يجعل المحسن محبوباً فى الحال فثبت ان الأفاضة على الطريقة الرحمانية تظهر فى أعين المستفيضين شأن المحبوبية. واما صفته الرحيمية فقد ألزمت نفسها شأن المحبية فان الله لا يتجلى على أحد بهذا الفيضان إلا بعد ان يحبه و يرضى به قولاً وفعلا من اهل الايمان. منه .

الانسانية. فكل صفة بعدهما داخلة في انوارهما وقطرة من بحارهما.

ثم ان ذات الله تعالى كما اقتضت لنفسها ان تكون انوع الانسان محبوبة و محبة كذلك اقتضت لعباده الكمّل ان يكونوا لبني نوعهم كمثل ذاته خلقاً وسيرة و يجعلوا هاتين الصفتين لأنفسهم لباساً و كسوة لتتخلق العبودية بأخلاق الربوبية ولا يبقى نقص فى النشأة الانسانية. فخلق النبيين والمرسلين فجعل بعضهم مظهر صفته الرحمن و بعضهم مظهر صفته الرحيم ليكونوا محبوبين ومحبين ويعاشروا بالتحابب بفضله العميم فأعطى بعضهم حظاً وافراً من صفة المحبوبية و بعضاً آخر حظاً كثيراً من صفة المحبية و كذلك أراد بفضله العميم وجوده القديم.

ولما جاء زمن خاتم النبيين وسيدنا محمد سيد المرسلين. اراد هو سبحانه ان يجمع هاتين الصفتين فى نفس واحدة، فجمعهما في نفسه عليه الف الف صلوة وتحية. فلذلك ذكر تخصيصا صفة المحبوبية والمحبية على رأس هذه السورة ليكون إشارة الى هذه الارادة. وسمي نبينا محمداً واحمد كما سمي نفسه الرحمن والرحيم في هذه الآية. فهذه إشارة الى انه لاجامع لهما على الطريقة الظلية الا وجود سيدنا خير البرية. وقد عرفت ان هاتين الصفتين اكبر الصفات من صفات الحضرة الاحدية. بل هما لب اللباب وحقيقة الحقائق لجميع اسمائه الصفاتية. وهما معيار كمال كل من استكمل وتخلق بالاخلاق الالهية. وماأعطى نصيباً كاملا منهما إلا نبينا خاتم سلسلة النبوة. فانه أعطي اسمين كمثل هاتين الصفتين. اولهما محمد والثاني احمد من فضل رب الكونين. اما محمد فتدارتدى رداء صفة الرحمن وتجلىّ فى حال الجلال والمحبوبية وحمّد لبرمنه والاحسان. واما احمد فتجلى فى حلة الرحيمية والمحبية والجمالية. فضلا من الله الذي يتولى المؤمنين بالعون

والنصرة. فصار اسما نبينا بحذاء صفتي ربنا المنان كصور منعكسة تظهرها مرآتان متقابلتان . وتفصيل ذلك ان حقيقة صفة الرحمانية عند اهل العرفان هي إفاضة الخير لكل ذى روح من الانسان وغير الانسان من غير عمل سابق بل خالصاً على سبيل الامتنان . ولاشك ولا خلاف أن مثل هذه المنة الخالصة التي ليست جزاء عمل عامل من البرية هى تجذب قلوب المؤمنين الى الثناء والمدح والمحمدة فيحمدون المحسن ويثنون عليه بخلوص القلوب وصحة النية . فيكون الرحمن محمداً يقينا من غير وهم يجر الى الريبة فان المنعم الذي يحسن الى الناس من غير حق بانواع النعمة يحمده كل من أنعم عليه وهذا من خواص النشأة الانسانية . ثم اذا كمل الحمد بكمال الانعام ، جذب ذلك الى الحب التام ، فيكون المحسن محمداً ومحبوباً فى أعين المحبين فهذا مآل صفة الرحمن ففكر كالعاقلين . وقد ظهر من هذا المقام لكل من له عرفان ان الرحمن محمد وان محمداً رحمن ولاشك ان مآلهما واحد وقد جهل الحق من هو جاحد . واما حقيقة صفة الرحيمية وما أخفى فيها من الكيفية الروحانية. فهى إفاضة إنعام وخير على عمل من أهل مسجد لامن اهل دير وتكميل عمل العاملين المخلصين. وجبر نقصانهم كالمتلافين والمعينين والناصرين. ولاشك ان هذه الافاضة فى حكم الحمد من الله الرحيم . فانه لاينزل هذه الرحمة على عامل إلا بعد ما حمده على نهجه القويم ورضى به عملا ورآه مستحقا للفضل العميم . الا ترى انه لايقبل عمل الكافرين والمشركين والمرائين والمتكبرين. بل يحبط أعمالهم ولايهديهم اليه ولاينصرهم بل يتركهم كالمخذولين . فلاشك انه لايتوب الى احد بالرحيمية ولا يكمل عمله بنصرة منه والأعانة الا بعد ما رضي به فعلا وحمده حمداً يستلزم نزول الرحمة . ثم اذا كمل

الحمد من الله بكمال أعمال المخلصين . فيكون الله احمد والعبد محمداً فسبحان الله أول المحمدين والاحمدين . وعند ذلك يكون العبد المخلص فى العمل محبوباً فى الحضرة فان الله يحمده من عرشه وهو لا يحمد احداً إلا بعد المحبة . فحاصل الكلام ان كمال الرحمانية يجعل الله محمداً ومحبوباً و يجعل العبد احمد و محبا يستقرى مطلوبا، و كمال الرحيمية يجعل الله احمد ومحبا و يجعل العبد محمداً وحبا . وستعرف من هذا المقام شأن نبينا الأمام الهمام فان الله سماه محمداً واحمد وماسمي بهما عيسى ولا كليما، وأشركه فى صفتيه الرحمن والرحيم بما كان فضله عليه عظيما . وما ذكر هاتين الصفتين فى البسملة إلا ليعرف الناس أنهما لله كالاسم الا عظم وللنبي من حضرته كالخلعة . فسماه الله محمداً إشارة إلى مافيه من صفة المحبوبية وسماه احمد ايماءاً الى مافيه من صفة المحبية . اما محمد فلأجل ان رجلاً لا يحمده الحامدون حمداً كثيراً الا بعد ان يكون ذلك الرجل محبوباً . واما احمد فلأجل ان حامداً لا يحمد احداً بحمد كاثر الا الذي يحبه ويجعله مطلوبا . فلاشك ان اسم محمد يوجد فيه معنى المحبوبية بدلالة الالتزام، وكذلك يوجد في اسم احمد معنى المحبية من الله ذى الافضال والانعام . ولاريب ان نبينا سمي محمداً لما أراد الله ان يجعله محبوبا في أعينه وأعين الصالحين وكذلك سماه احمد لما أراد سبحانه ان يجعله محب ذاته ومحب المؤمنين المسلمين فهو محمد بشأن واحمد بشان واختص احد هذين الاسمين بزمان والآخر بزمان وقد أشار اليه سبحانه في قوله (ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين او أدنى)

ثم لما كان يظن ان اختصاص هذا النبي المطاع السجاد بهذه المحامد من رب العباد يجر الى الشرك كما عبد عيسى لهذا الاعتقاد، أراد الله ان يورثهما الأمة

المرحومة على الطريقة الظلية ، ليكونا للأمة كالبركات المتعدية وليزول وهم اشتراك عبد خاص فى الصفات الالهية ، فجعل الصحابة ومن تبعهم مظهر اسم محمد بالشوؤن الرحمانية الجلالية وجعل لهم غلبة ونصرهم بالعنايات المتوالية ، وجعل المسيح الموعود مظهر اسم احمد وبعثه بالشوؤن الرحيمية الجمالية . وكتب في قلبه الرحمة والتحنن وهذبه بالاخلاق الفاضلة العالية . فذلك هو المهدي الموعود الذي فيه يختصمون وقد رأوا الآيات ثم لا يهتدون ، ويصرون على الباطل و إلى الحق لا يرجعون . وذلك هو المسيح الموعود ولكنهم لا يعرفون وينظرون اليه وهم لا يبصرون . فان اسم عيسى واسم احمد متحدان فى الهوية ومتوافقان فى الطبيعة ويدلان على الجمال وترك القتال من حيث الكيفية . واما اسم محمد فهو اسم القهر والجلال وكلاهما للرحمن والرحيم كالاظلال. ألا ترى ان اسم الرحمن الذي هو منبع للحقيقة المحمدية يقتضي الجلال كما يقتضى شأن المحبوبية . ومن رحمانيته تعالى انه سخر كل حيوان للانسان من البقر والمعز والجمال والبغال و الضأن وانه اهرق دماء كثيرة لحفظ نفس الانسان . وما هو إلا أمر جلالي ونتيجة رحمانية الرحمن . فثبت ان الرحمانية تقتضي القهر والجلال ومع ذلك هو من المحبوب لطف لمن أراد له النوال . وكم من دود المياه والاهوية تقتل للانسان وكم من الانعام تذبح للناس إنعاماً من الرحمن

فخلاصة القول ان الصحابة كانوا مظاهر للحقيقة المحمدية الجلالية ولذلك قتلوا قوماً كانوا كالسباع ونعم البادية ليخلصوا قوماً آخرين من سجن الضلالة والغواية ويجروهم الى الصلاح والهداية . وقد عرفت ان الحقيقة المحمدية هى مظهر الحقيقة الرحمانية ولا منافاة بين الجلال وهذه الصفة الاحسانية بل الرحمانية

مظهر تام للجلال والسطوة الربانية وهل حقيقة الرحمانية إلا قتل الذي هو أدنى للذي هو أعلى ؟ وكذلك جرت عادة الرحمن مذ خلق الانسان وما وراءه من الورى . ألا ترى كيف تقتل دود جرح الأبل لحفظ نفوس الجمال وتقتل الجمال لينتفع الناس من لحومها وجلودها ويتخذوا من أوبارها ثياب الزينة والجمال . و هذه كلها من الرحمانية لحفظ سلسلة الانسانية والحيوانية فكما ان الرحمن محبوب كذلك هو مظهر الجلال و كمثله اسم محمد في هذا الكمال .

ثم كما ورث الاصحاب اسم محمد من الله الوهاب وأظهروا جلال الله وقتلوا الظالمين كالانعام والدواب كذلك ورث المسيح الموعود اسم احمد الذي هو مظهر الرحيمية والجمال . واختار له الله هذا الاسم ولمن تبعه وصار له كالآل . فالمسيح الموعود مع جماعته مظهر من الله لصفة الرحيمية و الاحمدية ، ليتم قوله (وآخرين منهم) ولاراده للأرادات الربانية ولتتم حقيقة المظاهر النبوية . وهذا هو وجه تخصيص صفة الرحمانية والرحيمية بالبسملة ليدل على اسمي محمد واحمد ومظاهرهما الآتية اعني الصحابة ومسيح الله الذي كان آتياً في حال الرحيمية والاحمدية .

ثم نكرر خلاصة الكلام في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم .

فاعلم ان اسم الله اسم جامد لا يعلم معناه الا الخبير العليم وقد أخبر عزاسمه بحقيقة هذا الاسم في هذه الآية وأشار إلى انه ذات متصفة بالرحمانية والرحيمية أي متصفة برحمة الامتنان ورحمة مقيدة بالحالة الايمانية . وهاتان رحمتان كماء أصفى وغذاء أحلى من منبع الربوبية . وكل ماهو دونهما من صفات فهو كشعب لهذه الصفات والأصل رحمانية ورحيمية وهما مظهر سر الذات . ثم أعطى منهما

نصيب كامل لنبينا إمام النهج القويم فجعل اسمه محمدا ظل الرحمن واسمه احمدظل الرحيم . والسر فيه ان الانسان الكامل لا يكون كاملاً الا بعد التخلق بالاخلاق الالهية وصفات الربوبية . وقدعلمت ان أمر الصفات كلها يؤول الى الرحمتين اللتين سميناهما بالرحمانية والرحيمية. وعلمت ان الرحمانية رحمة مطلقة على سبيل الامتنان ويرد فيضانها على كل مؤمن وكافر بل كل نوع الحيوان ، واما الرحيمية فهي رحمة وجوبية من الله أحسن الخالقين وجبت للمؤمنين خاصة من دون حيوانات اخرى والكافرين. فلزم ان يكون الانسان الكامل اعني محمداً مظهر هاتين الصفتين فلذلك سمي محمداً واحمد من رب الكونين . وقال الله فى شأنه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) فأشار الله فى قوله (عزيز) وفي قوله (حريص) الى انه عليه السلام مظهر صفته الرحمن* بفضله العظيم لأنه رحمة للعالمين كلهم ولنوع الانسان والحيوان واهل الكفر والايمان . ثم قال (بالمؤمنين رؤف رحيم) فجعله رحمانا ورحيما كما لا يخفى على الفهيم وحمده وعزا اليه خلقا عظيما من التفخيم والتكريم كما جاء في القرآن الكريم . وان سألت ما خلقه العظيم فنقول أنه رحمن ورحيم ومُنح هو عليه الصلوة هذين النورين وآدم بين الماء والطين ، وكان هو نبياً وما كان لآدم أثر من الوجود ولا من الأديم . وكان الله نوراً فقضى ان يخلق نوراً فخلق محمداً الذي هو كدر يتيم ، وأشرك اسميه في صفتيه ففاق كل من أتى الله بقلب سليم . وانهما يتلألأن فى تعليم القرآن الحكيم . وان نبينا مركب

---

* الحاشية : قال الله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ولا يستقيم هذا المعنى الا في الرحمانية فان الرحيمية تختص بعالم واحد من المؤمنين . منه .

من نور موسى ونور عيسى ، كما هو مركب من صفتي ربنا الأعلى ، فاقتضى التركيب ان يعطى له هذا المقام الغريب ، فلأجل ذلك سماه الله محمداً واحمد ، فانه ورث نور الجلال والجمال وبه تفرد ، وانه أعطى شأن المحبوبين وجنان المحبين كما هو من صفتي رب العالمين ، فهو خير المحمودين وخير الحامدين . وأشركه الله في صفتيه وأعطاه حظًا كثيراً من رحمتيه وسقاه من عينيه و خلقه بيديه . فصار كقارورة فيها راح او كمشكوة فيها مصباح . و كمثل صفتيه أنزل عليه الفرقان وجمع فيه الجلال والجمال وركب البيان و جعله سلالة التوراة والانجيل ومرآة لرؤية وجه الجليل والجميل . ثم أعطى الأمة نصيبا من كأس هذا الكريم وعلمهم من أنفاس هذا المتعلم من العليم . فشرب بعضهم من عين اسم محمد التي انفجرت من صفة الرحمانية وبعضهم اغترفوا من ينبوع اسم احمد الذي اشتمل على الحقيقة الرحيمية . وكان قدراً مقدوراً من الابتداء ووعداً موقوتا جاريًا على السن الانبياء

ان اسم احمد لا يتجلى بتجل تام في احد من الوارثين إلا في المسيح الموعود الذي يأتي الله به عند طلوع يوم الدين وحشر المؤمنين ويرى الله المسلمين كالضعفاء والاسلام كصبي نبذ بالعراء فيفعل لهم أفعالا من لدنه و ينزل لهم من السماء فهناك تكون له السلطنة في الارض كما هي في الافلاك ويهلك الاباطيل من غير ضرب الأعناق وتنقطع الاسباب كلها وترجع الأمور الى مالك الأملاك . وعد من الله حق كمثل وعد تمّ في آخر زمن بني اسرائيل اذ بُعث فيهم عيسى بن مريم فأشاع الدين من غير ان يقتل من عصى الرب الجليل . وكان في قدر الله العلي العليم ان يجعل آخر هذه السلسلة كآخر خلفاء الكليم . فلأجل ذلك جعل

خاتمة أمرها مستغنية من نصر الناصرين ومظهراً لحقيقة مالك يوم الدين كما يأتي تفسيره بعد حين

ومن تتمة هذا الكلام ان نبينا خير الأنام لما كان خاتم الانبياء وأصفى الاصفياء وأحب الناس الى حضرة الكبرياء أراد الله سبحانه ان يجمع فيه صفتيه العظيمتين على الطريقة الظلية فوهب له اسم محمد واحمد ليكونا كالظلين للرحمانية والرحيمية . ولذلك أشار فى قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) إلى ان العابد الكامل يعطى له صفات رب العالمين بعد ان يكون من العابدين الفانين. وقد علمت ان كل كمال من كمالات الاخلاق الالهية منحصر في كونه رحمانا ورحيما ولذلك خصهما الله بالبسملة . وعلمت ان اسم محمد واحمد تدأبهما مقام الرحمن والرحيم وأودعهما كل كمال كان مخفياً فى هاتين الصفتين من الله العليم الحكيم. فلا شك ان الله جعل هذين الاسمين ظلين لصفتيه ومظهرين لسيرتيه ، ليري حقيقة الرحمانية والرحيمية فى مرآة المحمدية والاحمدية

ثم لما كان كمَّل أمته عليه السلام من اجزاءه الروحانية وكالجوارح للحقيقة النبوية أراد الله لأبقاء آثار هذا النبي المعصوم ان يورثهم هذين الاسمين كما جعلهم ورثاء العلوم فأدخل الصحابة تحت ظل اسم محمد الذي هو مظهر الجلال وأدخل المسيح الموعود تحت اسم احمد الذي هو مظهر الجمال . وماوجد هؤلاء هذه الدولة إلا بالظلية فاذن ماثمَّ شريك على الحقيقة . وكان غرض الله من تقسيم هذين الاسمين ان يفرق بين الأمة ويجعلهم فريقين ، فجعل فريقاً منهم كمثل موسى مظهر الجلال وهم صحابة النبي الذين تصدوا انفسهم للقتال ، وجعل فريقاً منهم كمثل عيسى مظهر الجمال وجعل قلوبهم لينة واودع السلم صدورهم

وأقامهم على أحسن الخصال ، وهو المسيح الموعود والذين اتبعوه من النساء والرجال. فتم ما قال موسى وما فاه بكلام عيسى وتم وعد الرب الفعال. فان موسى أخبر عن صحب كانوا مظهر اسم محمد نبينا المختار وصور جلال الله القهار بقوله (أشداء على الكفار) وإن عيسى أخبر عن آخرين منهم وعن إمام تلك الابرار اعني المسيح الذى هو مظهر احمد الراحم الستار ومنبع جمال الله الرحيم الغفار بقوله (كزرع أخرج شطأه) الذي هو معجب الكفار. وكل منهما أخبر بصفات تناسب صفاته الذاتية واختار جماعة تشابه أخلاقهم اخلاقه المرضية. فأشار موسى بقوله (اشداء على الكفار) الى صحابة أدركوا صحبة نبينا المختار وأروا شدة وغلظة في المضمار وأظهروا جلال الله بالسيف البتّار وصاروا ظل اسم محمد رسول الله القهار ، عليه صلوة الله واهل السماء واهل الارض من الابرار والاخيار. وأشار عيسى بقوله (كزرع اخرج شطأه *) الى قوم آخرين منهم

* الحاشية : اعلم ياطالب العرفان انه ماجاء في كتاب الله الفرقان ان الصحابة كانوا رحماء على أهل البغي والعدوان وأما رحم بعضهم على بعض فلا يخرجهم من الجلالية بل يزيد قوة الجلال كونهم في صورة الوحدة فأنهم كشخص واحد عند الله وكالجوارح لحضرة الرسالة. ولا يختلج في قلب ان مثل الزرع مشترك في التوراة والانجيل فان هذا المثل قد خص بكتاب عيسى فى التنزيل. ثم لانجده في التوراة ونجده في الانجيل بالتفصيل. ومن المعلوم ان القراء الكبار يقفون على قوله (مثلهم في التوراة) ولا يلحقون به هذا المثل عند قراءة هذه الآيات بل يخصونه بالانجيل يقيناً من غير الشبهات ولأجل ذلك كتب الوقف الجائز عليه في جميع المصاحف المتداولة وان كنت في شك فانظر اليها لزيادة المعرفة. منه.

واما مهم المسيح بل ذكر اسمه احمد بالتصريح. وأشار بهذا المثل الذي جاء في القرآن المجيد الى ان المسيح الموعود لا يظهر الا كنبات لين لا كالشيء الغليظ الشديد .

ثم من عجائب القرآن الكريم انه ذكر اسم احمد حكاية عن عيسى وذكر اسم محمد حكاية عن موسى ليعلم القارئ ان النبي الجلالي اعني موسى اختار اسماً يشابه شأنه اعني محمداً الذي هو اسم الجلال ، وكذلك اختار عيسى اسم احمد الذي هو اسم الجمال بما كان نبياً جماليا وما أعطى له شيء من القهر والقتال

فحاصل الكلام ان كلاً منهما أشار الى مثيله التام فاحفظ هذه النكتة فانها تنجيك من الأوهام وتكشف عن ساقي الجلال والجمال وترى الحقيقة بعد رفع الفدام (١) . واذا قبلت هذا فدخلت في حفظ الله وكلأه من كل دجال ونجوت من كل ضلال .

الباب الرابع

فى تفسير الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين *

اعلم ان الحمد ثناء على الفعل الجميل لمن يستحق الثناء ، ومدح لمنعم أنعم من الارادة وأحسن كيف شاء . ولا يتحقق حقيقة الحمد كما هو حقها إلا للذي هو مبدء لجميع الفيوض والانوار ومحسن على وجه البصيرة لا من غير الشعور ولا من الاضطرار

(١) خرقة تُجعل على فم الابريق .

فلا يوجد هذا المعنى إلا في الله الخبير البصير . انه هو المحسن ومنه المنن كلها في الاول والاخير وله الحمد في هذه الدار وتلك الدار . وإليه يرجع كل حمد ينسب الى الاغيار .

ثم ان لفظ الحمد مصدر مبني على المعلوم والمجهول وللفاعل والمفعول من الله ذى الجلال . ومعناه ان الله هو محمد وهو احمد على وجه الكمال . والقرينة الدالة على هذا البيان انه تعالى ذكر بعد الحمد صفات تستلزم هذا المعنى عند اهل العرفان . والله سبحانه اوما في لفظ الحمد الى صفات توجد في نوره القديم ثم فسر الحمد وجعله مخدرة سفرت عن وجهها عند ذكر الرحمن والرحيم فان الرحمن يدل على ان الحمد مبني على المعلوم والرحيم يدل على المجهول كما لا يخفى على اهل العلوم. وأشار الله سبحانه في قوله (رب العالمين) إلى انه هو خالق كل شيء ومنه كل ما في السموات والارضين. ومن العالمين ما يوجد في الارض من زمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين . فقد يزيد عالم الضلال والكفر والفسق وترك الاعتدال حتى تملأ الارض ظلما وجوراً ويترك الناس طرق الله ذى الجلال . لا يفهمون حقيقة العبودية ولا يؤدون حق الربوبية فيصير الزمان كالليلة الليلاء ويداس الدين تحت هذه اللاواء ثم يأتي الله بعالم آخر فتبدل الارض غير الارض وينزل القضاء مبدلا من السماء ويعطى للناس قلب عارف ولسان ناطق لشكر النعماء فيجعلون نفوسهم كمور معبد لحضرة الكبرياء ويأتونه خوفاً ورجاءاً بطرف مغضوض من الحياء ووجه مقبل نحو قبلة الاستجداء وهمة في العبودية قارعة ذروة العلاء . و يشتد الحاجة اليهم اذا انتهى الأمر الى كمال الضلالة وصار الناس كسباع اونعم من تغير الحالة . فعند ذلك تقتضي الرحمة الالهية والعناية الازلية ان يخلق في

السماء ما يدفع الظلام ويهدم ما عمر ابليس وأقام من الأبنية والخيام فينزل إمام من الرحمن ليذب جنود الشيطان . ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان ولايراهم إلا من اعطى له عينان حتى غُلَّ أعناق الاباطيل وانعدم مايرى لها نوع سراب من الدليل . فما زال الأمام ظاهراً على العدا ناصراً لمن اهتدى معليامعالم الهدى محيياً مواسم التقى حتى يعلم الناس انه أسر طواغيت الكفر وشدَّ وثاقها وأخذ سباع الأكاذيب وغل اعناقها وهدم عمارة البدعات وقوض قبابها وجمع كلمة الايمان ونظم أسبابها وقوى السلطنة السماوية وسدَّ الثغور وأصلح شأنها وسدَّد الامور وسكن القلوب الراجفة وبكت الألسنة المرجفة وأنار الخواطر المظلمة و جدد الدولة المخلقة وكذلك يفعل الله الفعال حتى يذهب الظلام والضلال فهناك ينكص العدا على أعقابهم وينكسون ماضربوا من خيامهم ويحلون ما أربوا من آرابهم * . ومن أشرف العالمين وأعجب المخلوقين وجود الانبياء والموسلين وعباد الله الصالحين الصديقين فانهم فاقواغيرهم في بثّ المكارم وكشف المظالم ، وتهذيب الاخلاق وإرادة الخير للأنفس والآفاق ، ونشر الصلاح والخير و إجاحة الطلاح والضير ، والامر بالمعروف والنهي عن الذمائم وسوق الشهوات كالبهائم ، والتوجه الى رب العبيد وقطع التعلق من الطريف والتليد ، والقيام على طاعة الله بالقوة الجامعة والعدة الكاملة ، والصول على ذرارى الشيطان بالحشود المجموعة والجموع المحشودة ، وترك الدنيا للحبيب والتباعد عن مغناها الخصيب وترك ماءها ومرعاها كالهجرة وإلقاء الجران فى الحضرة . انهم قوم لا يتمضمض مقلتهم بالنوم الافى حب الله والدعاء للقوم. وان الدنيا فى أعين اهلها لطيف البنية

* الأربة : العقدة . وأرب العقدة : أحكمها .

مليح الحلية واما في أعينهم فهي أخبث من العذرة وأنتن من الميتة . أقبلوا على الله كل الأقبال ومالوا اليه كل الميل بصدق البال . وكما ان قواعد البيت مقدمة على طاق يعقد ورواق يمهد ، كذلك هؤلاء الكرام مقدمون في هذه الدار على كل طبقة من طبقات الأخيار . وأريت ان أكملهم وأفضلهم وأعرفهم واعلمهم نبينا المصطفى عليه التحية والصلوة والسلام في الارض والسموات العلى وان أشقى الناس قوم أطالوا الألسنة وصالوا عليه بالهمز وتجسس العيب غير مطلعين على سر الغيب . وكم من ملعون في الأرض يحمده الله في السماء وكم من معظم في هذه الدار يُهان في يوم الجزاء .

ثم هو سبحانه أشار في قوله (رب العالمين) إلى انه خالق كل شيء وانه يُحمد في السماء والارضين . وان الحامدين كانوا على حمده دائمين وعلى ذكرهم عاكفين . وان من شيء إلا يسبحه ويحمده في كل حين . وان العبد اذا انسلخ عن اراداته وتجرد من جذباته ، وفنى في الله وفي طرقه وعباداته ، وعرف ربه الذي رباه بعناياته ، حمده في سائر أوقاته وأحبه بجميع قلبه بل بجميع ذراته فعند ذلك هو عالم من العالمين ، ولذلك سُمي ابراهيم امة في كتاب اعلم العالمين . ومن العالمين عالم أرسل فيهم خاتم النبيين ، وعالم آخر فيه يأتي الله بآخرين من المؤمنين في آخر الزمان رحمة على الطالبين . واليه أشار في قوله تعالى (وله الحمد في الاولى والآخرة) فأومأ فيه الى احمدين وجعلهما من نعماءه الكاثرة ، فالاول منهما احمد المصطفى ورسولنا المجتبى والثاني احمد آخر الزمان الذي سُمي مسيحاً ومهديا من الله المنان . وقد استنبطت هذه النكتة من قوله (الحمد لله رب العالمين) فليتدبر من كان من المتدبرين .

وعرفت ان العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله خالق الأنام ، سواء كان من عالم الارواح او من عالم الاجسام ، وسواء كان من مخلوق الأرض او كالشمس والقمر وغيرهما من الأجرام ، فكل من العالمين داخل تحت ربوبية الحضرة .

ثم ان فيض الربوبية أعم واكمل وأتم من كل فيض يتصور في الافئدة او يجري ذكره على الالسنة . ثم بعده فيض عام وقد خُص بالنفوس الحيوانية و الانسانية وهو فيض صفة الرحمانية وذكره الله بقوله (الرحمن) وخصه بذوى الروح من دون الاجسام الجمادية والنباتية . ثم بعد ذلك فيض خاص وهو فيض صفة الرحيمية . ولا ينزل هذا الفيض إلا على النفس التي سعى سعيها لكسب الفيوض المترقبة، ولذلك يختص بالذين آمنوا واطاعوا ربًا كريمًا كما صرح في قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) فثبت بنص القرآن ان الرحيمية مخصوصة بأهل الايمان . واما الرحمانية فقد وسعت كل حيوان من الحيوانات حتى ان الشيطان نال نصيبًا منها بأمر حضرة رب الكائنات

وحاصل الكلام ان الرحيمية تتعلق بفيوض تترتب على الاعمال ، وتختص بالمؤمنين من دون الكافرين واهل الضلال . ثم بعد الرحيمية فيض آخر وهو فيض الجزاء الأتمّ والمكافأة وإيصال الصالحين إلى نتيجة الصالحات والحسنات وإليه اشار عز اسمه بقوله (مالك يوم الدين) وانه آخر الفيوض من رب العالمين . وما ذُكر فيض بعده في كتاب الله أعلم العالمين . والفرق في هذا الفيض وفيض الرحيمية : ان الرحيمية تبلغ السالك الى مقام هو وسيلة النعمة واما فيض المالكية بالمجازاة فهو يبلغ السالك الى نفس النعمة والى منتهي الثمرات وغاية المرادات وأقصى المقصودات . فلا خفاء ان هذا الفيض هو آخر الفيوض من الحضرة الأحدية

وللنشأة الانسانية كالعلة الغائية ، وعليه يتم النعم كلها وتستكمل به دائرة المعرفة ودائرة السلسلة . ألا ترى ان سلسلة خلفاء موسى انتهت الى نكتة مالك يوم الدين فظهر عيسى في آخرها وبُدل الجور والظلم بالعدل والاحسان من غير حرب و محاربين كما يفهم من لفظ (الدين) فانه جاء بمعنى الحلم والرفق في لغة العرب و عند أدبائهم اجمعين . فاقتضت مماثلة نبينا بموسى الكليم ومشابهة خلفاء موسى بخلفاء نبينا الكريم أن يظهر في آخر هذه السلسلة رجل يشابه المسيح و يدعو الى الله بالحلم ويضع الحرب و يقرب (١) السيف المجيح فيحشر الناس بالآيات من الرحمن لا بالسيف والسنان فيشابه زمانه زمان القيامة و يوم الدين والنشور ويملأ الارض نوراً كما ملئت بالجور والزور . وقد كتب الله انه يرى نموذج يوم الدين قبل يوم الدين ويحشر الناس بعد موت التقوى. وذلك وقت المسيح الموعود وهو زمان هذا المسكين . واليه أشار في آية (يوم الدين) فليتدبر من كان من المتدبرين .

وحاصل الكلام ان في هذه الصفات التي خصت بالله ذى الفضل والاحسان حقيقة مخفية و نبأ مكتوماً من الله المنان . وهو انه تعالى أراد بذكرها ان ينبئ رسوله بحقيقة هذه الصفات. فأرى حقيقتها بأنواع التأييدات . فربى نبيه وصحابته فأثبت بها انه رب العالمين . ثم أتم عليهم نعماءه برحمانيته من غير عمل العاملين فاثبت بها انه ارحم الراحمين . ثم أراهم عند عملهم برحمة منه أيادي حمايته وأيدهم بروح منه بعنايته ، ووهب لهم نفوساً مطمئنة وأنزل عليهم سكينة دائمة. ثم أراد ان يريهم نموذج مالك يوم الدين فوهب لهم الملك والخلافة وألحق اعداءهم بالهالكين و

(١) قرب السيف : أدخله في الغمد .

اهلك الكافرين وازعجهم إزعاجا . ثم أرى نموذج النشور فأَخرج من في القبور إخراجا فدخلوا في دين الله افواجا و بدروا اليه فرادى وازواجا .فرأى الصحابة امواتا يلفون حياة ورأوا بعد المحْل ماءاً ثجاجا وسُمي ذلك الزمان يوم الدين لأن الحق حصحص فيه ودخل في الدين افواج من الكافرين . ثم اراد ان يري نموذج هذه الصفات في آخرين من الأمة ليكون آخر الملة كمثل أولها في الكيفية وليتم امر المشابهة بالأمم السابقة كما أشير اليه في هذه السورة أعني قوله (صراط الذين انعمت عليهم) فتدبر الفاظ هذه الآية . وسمى زمان المسيح الموعود يوم الدين لأنه زمان يحيي فيه الدين وتحشر الناس ليقبلوا باليقين . ولا شك ولا خلاف انه ربى زماننا هذا بأنواع التربية وأرانا كثيراً من فيوض الرحمانية والرحيمية كما أرى السابقين من الانبياء والرسل وأرباب الولاية والخلة . وبقيت الصفة الرابعة من هذه الصفات أعني التجلي الذي يظهر في حلة ملك او مالك في يوم الدين للمجازاة فجعله للمسيح الموعود كالمعجزات وجعله حكما ومظهراً للحكومة السماوية بتأييد من الغيب والآيات. وستعلم عند تفسير (انعمت عليهم) هذه الحقيقة . وما قلت من عند نفسي بل أعطيت من لدن ربي هذه النكات الدقيقة ومن تدبرها حق التدبر وفكر في هذه الآيات علم ان الله أخبر فيها عن المسيح و عن زمنه الذي هو زمن البركات .

ثم اعلم ان هذه الآيات قد وقعت كحدّ معرف لله خالق الكائنات وان كان الله تعالى ذاته عن التحديدات . ومن هذا التعليم والأفادة يتضح معنى كلمة الشهادة التي هي مناط الايمان والسعادة . وبهذه الصفات استحق الله الطاعة وخُص بالعبادة فانه ينزل هذه الفيوض بالأرادة. فانك اذا قلت (لا اله إلا الله)

فمعناه عند ذوي الحصاة ان العبادة لاتجوز لأحد من المعبودين او المعبودات إلا لذات غير مدركة مستجمعة لهذه الصفات اعني الرحمانية والرحيمية اللتين هما اول شرط لموجود مستحق للعبادات . ثم اعلم ان الله اسم جامد لا تدرك حقيقته لأنه اسم الذات ، والذات ليست من المدركات ، وكل مايقال في معناه فهو من قبيل الاباطيل والخزعبيلات . فان كنه البارئ أرفع من الخيالات وأبعد من القياسات. واذا قلت (محمد رسول الله) فمعناه ان محمداً مظهر صفات هذه الذات وخليفتها في الكمالات ومتمم دائرة الظلية وخاتم الرسالات . فحاصل ما أبصر وأرى ان نبينا خير الورى قد ورث صفتي ربنا الأعلى ثم ورث الصحابة الحقيقة المحمدية الجلالية كما عرفت فيما مضى وقد سلّم سيفهم في قطع دابر المشركين ولهم ذكر لا يُنسى عند عبدة المخلوقين . وانهم أدوا حق صفة المحمدية و أذاقوا كثيراً من الأيدي الحربية . وبقيت بعد ذلك صفة الاحمدية التي هي مصبغة بالألوان الجمالية محرقة بالنيران المحبية فورثها المسيح الذي بعث في زمن انقطاع الاسباب وتكسر الملة من الأنياب وفقدان الانصار والاحباب وغلبة الأعداء وصول الاحزاب ليري الله نموذج مالك يوم الدين بعد ليالي الظلام وبعد انهدام قوة الاسلام وسطوة السلاطين وبعد كون الملة كالمستضعفين . فاليوم صار ديننا كالغرباء . ومابقيت له سلطنة إلا في السماء . وماعرفه اهل الارض فقاموا عليه كالاعداء . فأرسل عند هذا الضعف وذهاب الشوكة عبد من العباد ليتعهد زمانا ماحلاً تعهد العهاد. وذلك هو المسيح الموعود الذي جاء عند ضعف الاسلام ليري الله نموذج الحشر والبعث والقيام ، ونموذج يوم الدين إنعاماً منه بعد موت الناس كالأنعام. فاعلم ان هذا اليوم يوم الدين وستعرف صدقنا ولو بعد حين.

وههنا نكتة كشفية ليست من المسموع فاسمع مصغيا وعليك بالمودوع (١) وهو انه تعالى ما اختار لنفسه ههنا اربعاً من الصفات إلا ليري نموذجها في هذه الدنيا قبل الممات . فأشار في قوله (له الحمد فى الأولى والآخرة) إلى ان هذا النموذج يعطى لصدر الاسلام ثم للآخرين من الأمة الداخرة وكذلك قال في مقام آخر وهو أصدق القائلين (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) فقسم زمان الهداية والعون والنصرة إلى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم والى الزمان الآخر الذي هوزمان مسيح هذه الملة وكذلك قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) فأشار الى المسيح الموعود وجماعته والذين اتبعوهم. فثبت بنصوص بينة من القرآن ان هذه الصفات قد ظهرت في زمن نبينا ثم تظهر في آخر الزمان . وهو زمان يكثر فيه الفسق و الفساد ويقل الصلاح والسداد ويجاح الاسلام كما تجاح الدوحة ويصير الاسلام كسليم لدغته الحية ويصير المسلمون كأنهم الميتة ويداس الدين تحت الدوائر الهائلة والنوازل النازلة السائلة . وكذلك ترون في هذا الزمان وتشاهدون انواع الفسق والكفر والشرك والطغيان. وترون كيف كثر المفسدون وقلّ المصلحون المواسون . وحان للشريعة ان تعدم وآن للملة ان تكتم . وهذا بلاء قددهم وعناء قدهجم وشر قدنجم ونار أحرقت العرب والعجم . ومع ذلك ليس وقتنا وقت الجهاد ولا زمن المرهفات الحداد . ولا أوان ضرب الأعناق والتقرين في الأصفاد. ولا زمان قود اهل الضلال في السلاسل والأغلال وإجراء أحكام القتل والاغتيال . فان الوقت وقت غلبة الكافرين وإقبالهم، وضربت الذلة على المسلمين بأعمالهم . وكيف الجهاد ولا يُمنع احد من الصوم والصلوة،

---

(١) السكينة والوقار .

ولا الحج والزكوة، ولا من العفة والتقاة . وما سلّ كافر سيفاً على المسلمين ليرتدوا او يجعلهم عضين ، فمن العدل ان يُسل الحسام بالحسام والأقلام بالأقلام. و انا لا نبكي على جراحات السيف والسنان وانما نبكي على اكاذيب اللسان. فبالأكاذيب كذبت صحف الله وأخفي أسرارها ، وصيل على عمارة الملة وهدم دارها . فصارت كمدينة نقض أسوارها او حديقة أحرق أشجارها او بستان أتلف زهرها وثمارها وسقط انوارها او بلدة طيبة غيض أنهارها او قصور مشيدة عفى آثارها ومزقها الممزقون . وقيل ماتت ونعى الناعون . وطبعت اخبارها وأشاعتها المشيعون . ولكل كمال زوال ولكل ترعرع اضمحلال ، كما ترى ان السيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف ، والليل اذا بلغ الصبح المسفر انكشف . كما قال الله تعالى (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس) فجعل تنفس الصبح كأمر لازم بعد كمال ظلمات الليل . وكذلك في قوله (يا ارض ابلعي) جُعل كمال السيل دليل زوال السيل . فأراد الله ان يرد الى المؤمنين أيامهم الأولى وان يريهم انه ربهم وانه الرحمن والرحيم ومالك يوم فيه يجزى و يبعث فيه الموتي . وانكم ترون في هذا الزمان ربوبية الله المنان ورحمانيته للانسان والحيوان التي تتعلق بالابدان . وترون انه كيف خلق أسباباً جديدة ووسائل مفيدة وصنائع لم ير مثلها فيما مضي وعجائب لم يوجد مثلها في القرون الاولى . وترون تجدداً في كل ما يتعلق بالمسافر والنزيل ، والمقيم وابن السبيل ، والصحيح والعليل ، والمحارب والمصالح المقيل ، والاقامة والرحيل ، وجميع انواع النعماء والعراقيل. كأن الدنيا بُدلت كل التبديل . فلاشك انها ربوبية عظمي ورحمانية كبرى. وكذلك ترى الربوبية والرحمانية والرحيمية في الأمور الدينية . وقد يسر كل

أمر لطلباء العلوم الالهية ويسر أمر التبليغ وأمر إشاعة العلوم الروحانية . وأنزلت الآيات لكل من يعبد الله ويبتغي السكينة من الحضرة . وانكسف القمر والشمس في رمضان وعطلت العشار فلا يسعى عليها إلا بالندرة . وسوف ترى المركب الجديد في سبيل مكة والمدينة . وأيد العالمون والطالبون بكثرة الكتب وانواع أسباب المعرفة . وعمر المساجد وحفظ الساجد . وفتح ابواب الأمن والتبليغ والدعوة . وما هو إلا فيض الرحيمية . فوجب علينا ان نشهد انها وسائل لا يوجد نظيرها في القرون الأولى ، وانه توفيق وتيسير ما سمع نظيره أذن وما رأى مثله بصر فانظر الى رحيمية ربنا الأعلى . ومن رحيميته انا قدرنا على ان نطبع كتب ديننا في أيام ما كان من قبل في وسع الأولين ان يكتبوها في أعوام ، وانا نقدر على ان نطلع على أخبار أقصى الارض في ساعات * وما قدر عليه السابقون إلا بشق الأنفس وبذل الجهد الى سنوات . وقد فتح علينا في كل خير ابواب الربوبية والرحمانية والرحيمية ، وكثرت طرقها حتى خرج احصاءها من الطاقة البشرية . وأين تيسر هذا للسابقين من اهل التبليغ والدعوة ؟ . وان الارض زلزلت لنا زلزالاً فأخرجت أثقالاً ، وفجرت الأنهار ، وسجرت البحار ، وجُددت المراكب ، وعطلت العشار . وان السابقين ما رأوا كمثل ما رأينا من النعماء ، وفي كل قدم نعمة وقد خرجت من الاحصاء . ومع ذلك كثر موت القلوب وقساوة الأفئدة كأن الناس كلهم ماتوا ولم يبق فيهم روح المعرفة إلا قليل الذي هو كالمعدوم من الندرة .

وانا فهمنا مما ذكرنا من ظهور الصفات وتجلي الربوبية والرحمانية والرحيمية

* الحاشية . كما قال تعالى (يومئذ تحدث أخبارها) .

كمثل الآيات، ثم من كثرة الاموات وموت الناس من سمّ الضلالات ان يوم الحشر والنشر قريب بل على الباب كما هو ظاهر من ظهور العلامات والاسباب. فان الربوبية والرحمانية والرحيمية تموجت كتموج البحار وظهرت وتواترت و جرت كالأنهار. فلا شك ان وقت الحشر والنشور قد أتي وقد مضت هذه السنة في صحابة خير الورى. ولا شك ان هذا اليوم يوم الدين ويوم الحشر و يوم مالكية رب السماء وظهور آثارها على قلوب اهل الارضين. ولا شك ان اليوم يوم المسيح الحكم من الله أحكم الحاكمين. وانه حشر بعد هلاك الناس وقد مضى نموذجه في زمن عيسى وزمن خاتم النبيين. فتدبر ولا تكن من الغافلين.

الباب الخامس

في تفسير إياك نعبد و إياك نستعين

إعلم ان حقيقة العبادة التي يقبلها المولى بامتنانه هي التذلل التام برؤية عظمته وعلوشأنه، والثناء عليه بمشاهدة مننه وأنواع إحسانه، وإيثاره على كل شيء بمحبة حضرته وتصور محامده وجماله ولمعانه، وتطهير الجنان من وساوس الجنة نظراً إلى جنانه. ومن أفضل العبادات ان يكون الانسان محافظا على الصلوات الخمس في أوائل اوقاتها وان يجهد للحضور والذوق والشوق وتحصيل بركاتها مواظباً على اداء مفروضاتها ومسنوناتها. فان الصلوة مركب يوصل العبد إلى

رب العباد فيصل بها إلى مقام لا يصل اليه على صهوات الجياد. وصيدها لا يصاد بالسهام وسرها لا يظهر بالأقلام. ومن التزم هذه الطريقة فقد بلغ الحق والحقيقة وألفى الحبّ الذي هو في حجب الغيب ونجا من الشك والريب فترى أيامه غرراً وكلامه درراً ووجهه بدراً ومقامه صدراً. ومن ذلّ لله في صلواته أذل الله له الملوك ويجعل مالكاً هذا المملوك.

ثم اعلم ان الله حمد ذاته اولاً في قوله (الحمد لله رب العالمين) ثم حثّ الناس على العبادة بقوله (اياك نعبد واياك نستعين) ففي هذه إشارة إلى ان العابد في الحقيقة هو الذي يحمده حق المحمدة. فحاصل هذا الدعاء والمسألة ان يجعل الله أحمد كل من تصدى للعبادة. وعلى هذا كان من الواجبات ان يكون احمد في آخر هذه الأمة على قدم احمد الأول الذي هو سيد الكائنات ليفهم ان الدعاء أستجيب من حضرة مستجيب الدعوات وليكون ظهوره للأستجابة كالعلامات. فهذا هو المسيح الذى كان وعد ظهوره في آخر الزمان مكتوباً في الفاتحة وفي القرآن. ثم في هذه الآية إشارة الى ان العبد لا يمكنه الأتيان بالعبودية إلا بتوفيق من الحضرة الأحدية. ومن فروع العبادة ان تحب من يعاديك كما تحب نفسك وبنيك، وان تكون مقيلاً للعثرات متجاوزا عن الهفوات، وتعيش تقياً نقيا سليم القلب طيب الذات، ووفياً صفيا منزهاً عن ذمائم العادات، وان تكون وجوداً نافعا لخلق الله بخاصية الفطرة كبعض النباتات من غير التكلفات والتصنعات، وان لا تؤذى أخاك بكبر منك ولا تجرحه بكلمة من الكلمات، بل عليك ان تجيب الأخ المغضب بتواضع ولا تحقره في المخاطبات، وتموت قبل ان تموت وتحسب نفسك من الاموات، وتعظم كل من جاءك ولو

جاءك في الأطمار لا في الحلل والكسوات ، وتسلم على من تعرفه وعلى من لا تعرفه وتقوم متصدياً للمؤاساة .

الباب السادس

فى تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم*)

اعلم ان هذه الآيات خزينة مملوءة من النكات وحجة باهرة على المخالفين و المخالفات . وسنذكرها بالتصريحات ونريك ما أرانا الله من الدلائل والبينات. فاسمع مني تفسيرها لعل الله ينجيك من الخزعبيلات . اما قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) فمعناه أرنا النهج القويم وثبتنا على طريق يوصل الى حضرتك وينجي من عقوبتك . ثم اعلم ان لتحصيل الهداية طرقا عند الصوفية مستخرجة من الكتاب والسنة. احدها طلب المعرفة بالدليل والحجة ، والثاني تصفية الباطن بانواع الرياضة ، والثالث الانقطاع الى الله وصفاء المحبة وطلب المدد من الحضرة بالموافقة التامة وبنفي التفرقة وبالتوبة الى الله والابتهال والدعاء وعقد الهمة . ثم لما كان طريق طلب الهداية والتصفية لا يكفي للوصول من غير توسل الائمة و

* اعلم ان فى آية (أنعمت عليهم) تبشير للمؤمنين وإشارة إلى ان الله أعدَّ لهم كل ما أعطى للأنبياء السابقين. ولذلك علم هذا الدعاء ليكون بشارة للطالبين . فلزم من ذلك ان يختتم سلسلة الخلفاء المحمدية على مثيل عيسى لتتم المماثلة بالسلسلة الموسوية والكريم اذا وعد وفى .

المهديين من الأمة مارضي الله سبحانه على هذا القدر من تعليم الدعاء بل حثّ بقوله (صراط الذين الخ) على تحسس المرشدين والهادين من اهل الأجتهاد والأصطفاء من المرسلين والانبياء . فأنهم قوم آثروا دار الحق على دار الزور والغرور ، وجُذِبوا بحبال المحبة إلى الله بحر النور وأخرجوا بوحي من الله وجذب منه من ارض الباطل وكانوا قبل النبوة كالجميلة العاطل . لا ينطقون إلا بأنطاق الولي ولا يؤثرون إلا الذي هو عنده الأولى . يسعون كل السعي ليجعلوا الناس أهلاً للشريعة الربانية ويقومون على ولدها كالحانية . ويعطي لهم بيان يسمع الصمَّ وينزل العُصم ، وجنان يجذب بعقد الهمة الأمم . اذا تكلموا فلا يرمون إلا صائباً ، واذا توجهوا فيحيون ميتا خائبا . يسعون ان ينقلوا الناس من الخطيات الى الحسنات ، ومن المنهيات الى الصالحات ، ومن الجهلات الى الرزانة والحصاة ، ومن الفسق والعصية الى العفة والتقاة . ومن أنكرهم فقد ضيع نعمة عرضت عليه وبعد من عين الخير وعن نور عينيه . وان هذا القطع اكبر من قطع الرحم والعشيرة . وانهم ثمرات الجنة فويل للذي تركهم ومال الى الميرة . وانهم نور الله ويعطي بهم نور للقلوب وترياق لسمّ الذنوب وسكينة عند الاحتضار والغرغرة وثبات عند الرحلة وترك الدنيا الدنية . أتظن ان يكون الغير كمثل هذه الفئة الكريمة ؟ كلا ! والذي أخرج العذق من الجريمة (١) . ولذلك علم الله هذا الدعاء من غاية الرحمة وأمر المسلمين ان يطلبوا صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والمرسلين من الحضرة . وقد ظهر من هذه الآية على كل من له حظ من الدراية ان هذه الأمة قد بعثت على قدم الانبياء وإن من نبي إلا وله

(١) الجريمة : النواة .

مثيل في هؤلاء. ولولا هذه المضاهاة والسواء لبطل طاب كمال السابقين وبطل الدعاء، فالله الذي أمرنا اجمعين ان نقول (اهدنا الصراط المستقيم) مصلين وممسين ومصبحين، وان نطلب صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والمرسلين، أشار إلى انه قد قدّر من الأبتداء ان يبعث في هـذه الأمة بعض الصلحاء على قدم الانبياء وان يستخلفهم كما استخلف الذين من قبل من بني اسرائيل. وان هذا لهو الحـق فاترك الجدل الفضول والأقاويل. وكان غرض الله ان يجمع في هذه الأمة كمالات متفرقة وأخلاقًا متبددة فاقتضت سنته القديمة ان يعلم هذا الدعاء ثم يفعل ما شاء. وقد سمي هذه الأمة خير الأمم في القرآن ولا يحصل خير إلا بزيادة العمل والايمان والعلم والعرفان وابتغاء مرضاة الله الرحمن. وكذلك وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض بالفضل والعنايات كما استخلف الذين من قبلهم من اهل الصلاح والتقاة. فثبت من القرآن ان الخلفاء من المسلمين إلى يوم القيامة وانه لن يأتي احد من السماء بل يبعثون من هـذه الأمة. وما لك لا تؤمن ببيان الفرقان؟ أتركت كتاب الله أم ما بقي فيك ذرة من العرفان؟ وقد قال الله (منكم) وما قال (من بني اسرائيل). وكفاك هذا ان كنت تبغي الحق وتطلب الدليل. ايها المسكين إقرء القرآن ولا تمش كالمغرور ولا تبعد من نور الحق لئلا يشكو منك إلى الحضرة سورة الفاتحة وسورة النور. اتق الله ثم اتق الله ولا تكن أول كافر بآيات النور والفاتحة لكي لا يقوم عليك شاهـدان في الحضرة. وانت تقرأ قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم) وتقرأ قوله (ليستخلفنهم) ففكر في قوله (منكم) في سورة النور واترك الظالمين وظنهم. ألم يأن لك ان تعلم عند قراءة هذه الآيات ان الله قد جعل الخلفاء كلهم

من هذه الأمة بالعنايات فكيف يأتي المسيح الموعود من السموات ؟ أليس المسيح الموعود عندك من الخلفاء فكيف تحسبه من بني اسرائيل ومن تلك الانبياء ؟ أتترك القرآن وفي القرآن كل الشفاء ؟ او تغلبت عليك شقوتك فتترك متعمداً طريق الاهتداء ؟ ألا ترى قوله تعالى (كما استخلف الذين من قبلهم) في هذه السورة ؟ فوجب ان يكون المسيح الآتي من هذه الأمة لا من غيرهم بالضرورة فان لفظ (كما) يأتي للمشابهة والمماثلة . والمشابهة تقتضي قليلاً من المغايرة ولا يكون شيء مشابه نفسه كما هو من البديهيات . فثبت بنص قطعي ان عيسى المنتظر من هذه الأمة وهذا يقيني ومنزه عن الشبهات . هذا ما قال القرآن و يعلمه العالمون . فبأي حديث بعده تؤمنون ؟ وقد قال القرآن ان عيسى نبي الله قدمات . ففكر في قوله (فلما توفيتني) ولا تحي الاموات ولا تنصر النصارى بالأباطيل والخزعبيلات ، وفتنهم ليست بقليلة فلا تزدها بالجهلات ، وان كنت تحب حياة نبي فآمن بحياة نبينا خير الكائنات . ومالك انك تحسب ميتاً من كان رحمة للعالمين وتعتقد ان ابن مريم من الأحياء بل من المحيين ؟ انظر الى النور ثم انظر الى الفاتحة ثم ارجع البصر ليرجع البصر بالدلائل القاطعة . ألست تقرء (صراط الذين أنعمت عليهم) في هذه السورة ؟ فأني تؤفك بعد هذا ؟ أتنسى دعاءك او تقرأ بالغفلة ؟ فانك سألت ربك في هذا الدعاء والمسئلة ان لا يغادر نبياً من بني اسرائيل إلا و يبعث مثيله فى هذه الأمة . ويحك أنسيت دعاءك بهذه السرعة مع انك تقرأه فى الأوقات الخمسة ؟ عجبت منك كل العجب أهذا دعاؤك وتلك آراؤك ؟ انظر الى الفاتحة وانظر إلى سورة النور من الفرقان وأي شاهد يقبل بعد شهادة القرآن ؟ فلا تكن كالذى سرى إيجاس خوف الله

واستشعاره وتسربل لباس الوقاحة وشعارها . أتترك كتاب الله لقوم تركوا الطريق وما كملوا التحقيق والتعميق ؟ وان طريقهم لا يوصل الى المطلوب وقد خالف التوحيد وسبل الله المحبوب. فلا تحسب وعراً دمثا وان دمثه كثير من الخطا وان اهتدت اليه أبابيل من القطا . فان هدى الله هو الهدى . وان القرآن شهد على موت المسيح وأدخله فى الأموات بالبيان الصريح . ما لك ماتفكر فى قوله (فلما توفيتني) وفى قوله (قد خلت من قبله الرسل)؟ ومالك لا تختار سبيل الفرقان وسرك السبل ؟ وقد قال (فيها تحيون وفيها تموتون) فمالكم لا تفكرون ؟ وقال (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) فكيف صار مستقر عيسى فى السماء او عرش رب العالمين ؟ ان هذا إلا كذب مبين. وقال سبحانه (أموات غير احياء) فكيف تحسبون عيسى من الاحياء ؟ الحياء الحياء ياعباد الرحمن . القرآن القرآن . فاتقوا الله ولا تتركوا الفرقان . انه كتاب يُسئل عنه إنس وجان . وانكم تقرؤن الفاتحة فى الصلوة ففكروا فيها ياذوي الحصاة . ألا تجدون فيها آية (صراط الذين أنعمت عليهم) ؟ فلا تكونوا كالذين فقدوا نورعينيهم وذهب بما لديهم. ويحكم وهل بعد الفرقان دليل أو قي الى مفر من سبيل ؟ أيقبل عقلكم ان يبشر ربنا فى هذا الدعاء بأنه يبعث الأئمة من هذه الأمة لمن يريد طريق الاهتداء الذين يكونون كمثل انبياء بني اسرائيل فى الاجتباء والاصطفاء ويأمرنا ان ندعوان نكون كانبياء بني اسرائيل ولا نكون كأشقياء بني اسرائيل ثم بعد هذا يدّعنا و يلقينا فى وهاد الحرمان ويرسل إلينا رسولاً من بني اسرائيل وينسى وعده كل النسيان ؟ و هل هذا إلا المكيدة التى لا تنسب الى الله المنان ؟ . وان الله قد ذكر فى هذه السورة

ثلاثة احزاب من الذين أنعم عليهم واليهود والنصرانيين . ورغّبنا في الحزب الأول منها ونهى عن الآخرين بل حثنا على الدعاء والتضرع والابتهال لنكون من المنعم عليهم لا من المغضوب عليهم واهل الضلال . ووالذي انزل المطر من الغمام واخرج الثمر من الأكمام لقد ظهر الحق من هذه الآية ولا يشك فيه من أعطي له ذرة من الدراية . وان الله قد منّ علينا بالتصريح والأظهار وأماط عنا وعثاء الافتكار . فوجب على الذين ينضنضون نضنضة الصل ويحلقون حملقة البازي المطل ان لا يعرضوا عن هذا الانعام ولا يكونوا كالأنعام .

وقد عاق بقلبي ان الفاتحة تأسو جراحهم وتريش جناحهم . وما من سورة في القرآن الا وهي تكذبهم في هذا الاعتقاد فاقرأ مما شئت من كتاب الله يرك طريق الصدق والسداد . ألا ترى ان سورة بني اسرائيل تمنع المسيح ان يرقى في السماء . وان آل عمران تعده ان الله متوفيه وناقله الى الاموات من الاحياء . ثم ان المائدة تبسط له مائدة الوفاة فاقرأ (فلما توفيتني) ان كنت في الشبهات . ثم ان الزمر تجعله من زمر لا يعودون الى الدنيا الدنية وان شئت فاقرأ (فيمسك التي قضى عليها الموت) واعلم ان الرجوع حرام بعد المنية وحرام على قرية اهلكها الله ان تبعث قبل يوم النشور . واما الأحياء بطريق المعجزة فليس فيه الرجوع الى الدنيا التي هي مقام الظلم والزور . ثم اذا ثبت موت المسيح بالنص الصريح فأزال الله وهم نزوله من السماء بالبيان الفصيح وأشار في سورة النور والفاتحة الى ان هذه الامة ترث انبياء بني اسرائيل على الطريقة الظلية فوجب ان يأتي في آخر الزمان مسيح من هذه الأمة كما أتى

عيسى بن مريم في آخر السلسلة الموسوية . فان موسى ومحمداً عليهما صلوات الرحمن متماثلان بنص الفرقان ، وان سلسلة هذه الخلافة تشابه سلسلة تلك الخلافة كما هي مذكورة في القرآن وفيها لا يختلف اثنان . وقد اختتمت مئات سلسلة خلفاء موسى على عيسى كمثل عدّة ايام البدر فكان من الواجب ان يظهر مسيح هذه الأمة في مدة هي كمثل هذا القدر. وقد اشار اليه القرآن في قوله (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة) وان القرآن ذو الوجوه كما لا يخفى على العلماء الأجلة فالمعنى الثاني لهذه الآية في هذا المقام : ان الله ينصر المؤمنين بظهور المسيح الى مئين تشابه عدّتها ايام البدر التام ، والمؤمنون أذلة في تلك الايام . فانظر الى هذه الآية كيف تشير إلى ضعف الاسلام ثم تشير الي كون هلاله بدراً في أجل مسمى من الله العلام كما هو مفهوم من لفظ البدر فالحمد لله على هذا الافضال والأنعام

وحاصل ما قلنا في هذا الباب ان الفاتحة تبشر بكون المسيح من هذه الأمة فضلا من رب الأرباب فقد بُشرنا من الفاتحة بأئمة منا هم كانبياء بني اسرائيل وما بُشرنا بنزول نبي من السماء فتدبر هذا الدليل . وقد سمعت من قبل ان سورة النور قد بشرتنا بسلسلة خلفاء تشابه سلسلة خلفاء الكليم . وكيف تتم المشابهة من دون ان يظهر مسيح كمسيح سلسلة الكليم في آخر سلسلة النبي الكريم . وانا آمنا بهذا الوعد فانه من رب العباد . وان الله لا يخلف الميعاد . والعجب من القوم انهم ما نظروا الى وعد حضرة الكبرياء . وهل يوفى وينجز الا الوعد فلينظروا بالتقوى والحياء . وهل في شرعة الانصاف ان ينزل المسيح من السماء ويُخلف وعد مماثلة سلسلة الاستخلاف . وان تشابه السلسلتين

قد وجب بحكم الله الغيور كما هو مفهوم من لفظ (كما) في سورة النور .

الباب السابع

في تفسير (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

اعلم أسعدك الله ان الله قسم اليهود والنصارى في هذه السورة على ثلاثة أقسام ، فرغبنا في قسم منهم وبشر به بفضل وإكرام وعلمنا دعاءً لنكون كمثل تلك الكرام من الانبياء والرسل العظام . وبقي القسمان الآخران وهما المغضوب عليهم من اليهود والضالون من اهل الصلبان . فأمرنا ان نعوذ به من ان نُلحق بهم من الشقاوة والطغيان فظهر من هذه السورة ان أمرنا قد تُرك بين خوف و رجاء ونعمة وبلاء : إما مشابهة بالأنبياء و إما شرب من كأس الأشقياء . فاتقوا الله الذي عظم وعيده وجلت مواعيده . ومن لم يكن على هدي الانبياء من فضل الله الودود فقد خيف عليه ان يكون كالنصارى أو اليهود . فاشتدت الحاجة الى نموذج النبيين والمرسلين ليدفع نورهم ظلمات المغضوب عليهم وشبهات الضالين . ولذلك وجب ظهور المسيح الموعود في هذا الزمان من هذه الأمة لأن الضالين قد كثروا فاقتضت المسيح ضرورة المقابلة . وانكم ترون أفواجاً من القسيسين الذين هم الضالون . فأين المسيح الذي يذبهم ان كنتم تعلمون ؟ أما ظهر أثر الدعاء او تُركتم في الليلة الليلاء ؟ أم عُلمتم دعاء (صراط الذين)

لتزيد الحسرة وتكونوا كالمحرومين؟ . فالحق والحق أقول ان الله ما قسم الفرق على ثلاثة أقسام فى هذه السورة إلا بعد ان أعدَّ كل نموذج منهم في هذه الأمة وانكم ترون كثرة المغضوب عليهم وكثرة الضالين فأين الذي جاء على نموذج النبيين والمرسلين من السابقين؟ ما لكم لا تفكرون فى هذا وتمرون غافلين؟

ثم اعلم ان هذه السورة قد أخبرت عن المبدأ والمعاد، وأشارت الى قوم هم آخر الأقوام ومنتهى الفساد. فانها اختتمت على الضالين وفيه إشارة للمتدبرين. فان الله ذكر هاتين الفرقتين في آخر السورة وما ذكر الدجال المعهود تصريحاً ولا بالأشارة مع ان المقام كان يقتضي ذكرَ الدجال. فان السورة أشارت في قولها (الضالين) إلى آخر الفتن واكبر الأهوال. فلو كانت فتنة الدجال في علم الله اكبر من هذه الفتنة لختم السورة عليه لا على هذه الفرقة. ففكروا في أنفسكم أنسي أصلَ الامر ربنا ذو الجلال وذكر الضالين في مقام كان واجباً فيه ذكر الدجال؟ وان كان الأمر كما هو زعم الجهال لقال الله فى هذا المقام غير المغضوب عليهم ولا الدجال. وانت تعلم ان الله اراد فى هذه السورة ان يحث الامة على طرق النبيين ويحذرهم من طرق الكفرة الفجرة فذكر قوماً أكل هم عناءه وأم نعماءه، ووعد أنه باعث من هذه الأمة من هو يشابه النبيين ويضاهى المرسلين. ثم ذكر قوماً آخر تركوا الظلمات وجعل فتنتهم آخر الفتن وأعظم الآفات، وأمر ان يعوذ الناس كلهم به من هذه الفتن إلى يوم القيامة ويتضرعوا لدفعها في الصلوات فى أوقاتها الخمسة. وما أشار فى هذا الى الدجال وفتنته العظيمة. فأي دليل اكبر من هذا على إبطال هذه العقيدة؟. ثم من مؤيدات هذا البرهان ان الله ذكر النصارى فى آخر القرآن كما ذكر فى اول الفرقان. ففكر فى (لم يلد ولم يولد)

وفي (الوسواس الخناس) وما هم إلا النصارى فعذ من علماء هم برب الناس. وان الله كما ختم الفاتحة على الضالين كذلك ختم القرآن على النصرانيين. و ان الضالين هم النصرانيون كما رُوي عن نبينا في (الدر المنثور) وفي (فتح الباري) فلا تعرض عن القول الثابت المشهور ومسلم الجمهور.

الباب الثامن

فى تفسير الفاتحة بقول كلي

اعلم ان الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء لأن الحمد أتم وأكمل منهما وأحاطهما بالاستيفاء. ثم ذلك رد على عبدة المخلوقين والاوثان فانهم يحمدون طواغيتهم وينسبون إليها صفات الرحمن. وفى الحمد إشارة اخرى وهى ان الله تبارك وتعالى يقول ايها العباد اعرفوني بصفاتي وآمنوا بي لكمالاتي. وانظروا الى السموات والأرضين هل تجدون كمثلى رب العالمين وارحم الراحمين ومالك يوم الدين؟. ومع ذلك إشارة الى ان الهكم اله جمع جميع انواع الحمد في ذاته وتفرد فى سائر محاسنه وصفاته. وإشارة إلى انه تعالى منزه شأنه عن كل نقص وحوؤل حالة ولحوق وصمة كالمخلوقين بل هو الكامل المحمود ولا تحيطه الحدود. وله الحمد فى الأولى والآخرة ومن الأزل إلى ابد الآبدين. ولذلك سمي الله نبيه احمد وكذلك سمي به المسيح الموعود ليشير إلى ما تعمد. وان الله كتب الحمد على رأس الفاتحة ثم أشار الى الحمد فى آخر هذه السورة فان

آخرها لفظ الضالين وهم النصارى الذين أعرضوا عن حمد الله وأعطوا حقه لأحد من المخلوقين . فان حقيقة الضلالة هى ترك المحمود الذي يستحق الحمد و الثناء كما فعل النصارى ونحتوا من عندهم محموداً آخر وبالغوا فى الأطراء واتبعوا الأهواء وبعدوا من عين الحياة وهلكوا كما يهلك الضال فى الموماة . وان اليهود هلكوا فى أول أمرهم وباءوا بغضب من الله القهار . والنصارى سلكوا قليلا ثم ضلوا وفقدوا الماء فماتوا في فلاة من الاضطرار .

فحاصل هذا البيان ان الله خلق احمدين فى صدر الاسلام و في آخر الزمان وأشار إليهما بتكرار لفظ الحمد في اول الفاتحة وفي آخرها لأهل العرفان وفعل كذلك ليرد على النصرانيين . وأنزل احمدين من السماء ليكونا كالجدارين لحماية الاولين والآخرين .

وهذا آخر ما أردنا فى هذا الباب بتوفيق الله الراحم الوهاب. فالحمد لله على هذا التوفيق والرفاء . وكان من فضله ان عهدنا قرن بالوفاء . وما كان لنا ان نكتب حرفاً لولا عون حضرة الكبرياء . هو الذي أرى الآيات وأنزل البينات. وعصم قلمي وكلمي من الخطاء وحفظ عرضي من الأعداء . وانه تبوأ منزلي و تجلى علي وحضر محفلى . واجتباني لخلافته وأبقى مرعاي على صرافته . وزكاني فأحسن تزكيتي وربّاني فبالغ فى تربيتي وأنبتني نباتا حسنًا . وتجلى علي وشغفني حبًا حتى إنني فرغت من عداوة الناس ومحبتهم ، ومدح الخلق ومذمتهم ، والآن سواء لي من عاد إلي اوعادى ، وراد (١) من ضياعي أورادي. وصارت الدنيا فى

---

(١) الضياع جمع الضيعة : الأرض المغلة . راد الرجل الارض: تفقدما فيهامن المراعى والمياه. ردى فلانًا : صدمه ، و بحجر رماه به .

عيني كجارية بُدئت (١)، واسودّ وجهها، وصنوف الحسن توضت، وشم الأنف بالفطس تبدل؛ وهب الخدود الى النمش (٢) انتقل . فنجوت بحول الله من سطوتها وسلطانها، وعُصمت من صولة غولها وشيطانها . وخرجت من قوم يتركون الأصل ويطلبون الفرع ويضيعون الورع لهذه الدنيا ويُجبون (٣) الزرع، ويريدون ان يحتكأ (٤) قولهم في قلوب الناس مع انهم ما خلصوا من الأدناس . وكيف يترقب الماء المعين من قربة قضئت (٥)، والخلوص والدين من قريحة فسدت ؟ وكيف يُعد الأسير كمطلق من الأسار ؟ وكيف يدخل المقرف (٦) في الاحرار وكيف يتداكأ (٧) الناس عليه وهو خبيث وخبيث ما يخرج من شفتيه ؟

وان قلمي بُرّئ من أدناس الهوى وبُري لارضاء المولى . وان ليراعى أثراً من الباقيات الصالحات ولا كأثر سنابك المسومات . ونحن كماة لا نزل عن صهوات المطايا وإنا مع ربنا الى حلول المنايا . وان خيلنا تجول على العدا كالبازي على العصفور او كالأجدل (٨) على الفأر المذؤر .

رويد أعدائي ! بعض الدعاوي . ولا تدّعوا الشبع مع البطن الخاوي . أتقومون للحرب برماح أشرعت ولا ترون الى حجبكم والى سلاسل ثقلت . ترون غمرات الندم ثم تقتحمونها وتجدون غماء الذل ثم تزورونها . وانما مثلكم كمثل

(١) بُدئ : جُدر أو حصب بالحصبة . (٢) النمش : بقع تقع في الجلد تخالف لونه .
(٣) أجبي زرعه : باعه قبل بدوّ صلاحه . (٤) احتكأ : ثبت .
(٥) اي فسدت وعفنت . (٦) الذي أمه عربية لا ابوه .
(٧) تداكأ الناس : ازدحموا وتدافعوا . (٨) الأجدل : الصقر .

عز تأكل تارة من حشيش وتارة من كلاء ولا تطيع الراعي من غير خلاء . وكل ماهو عندكم من العلم فليس هو إلا كالمكدوس المدوس الذي لم يذر ، وخالطه روث الفدادين وغيرها مماضر . ثم تقولون انا لا نحتاج الى حكم من السماء . وماهي إلا شقوة ففكروا ياأهل الآراء . وإني اعلم كعلم المحسوسات والبديهيات أني أرسلت من ربي بالهدايات والآيات ، وقد أوحى الي الى مدة هي مدة وحي خاتم النبيين وكملت قبل ان أزنا من الاربعين الى ان زنات للستين . وهل يجوز تكذيب رجل ضاهت مدته مدة نبينا المصطفى وان الله قد جعل تلك المدة دليلاً على صدق رسوله المجتبى ؟ . وسمعت إنكاره من بعض الناس وما قبلوا هذا الدليل بلمة من الوسواس الخناس . فاكلأت (١) عيني طول ليلي وجرت من عيني عين سيلي . فكلمني ربي برحمته العظمى وقال قل ان هدى الله هو الهدى . فله الحمد وهو المولى وهو ربي في هذه وفي يوم تحشر كل نفس لتجرى . رب انزل على قلبي واظهر من جيبي بعد سلبي واملأ بنور العرفان فوأدي . رب انت مرادي فآتني مرادي . ولا تمتني موت الكلاب وجهك يارب الأرباب . رب اني اخترتك فاخترني وانظر الى قلبي واحضرني . فانك عليم الأسرار وخبير بما يكتم من الاغيار . رب ان كنت تعلم ان أعدائي هم الصادقون المخلصون فأهلكني كما تهلك الكذابون ، وان كنت تعلم اني منك ومن حضرتك فقم لنصرتي فاني أحتاج الى نصرتك ، ولا تفوض أمري الى اعداء يمرون علي مستهزئين ، واحفظني من العادين والماكرين . انك انت راحي وراحتي وجنتي وجنتي فانصرني في أمري واسمع بكائي ورنتي . وصل على محمد خير المرسلين وامام المتقين ،

---

(١) سهرت ولم تنم .

وهب له مراتب ما وهبت لغيره من النبيين . رب أعطه ما أردت ان تُعطيني من النعماء ثم اغفرلي بوجهك وانت ارحم الرحماء .

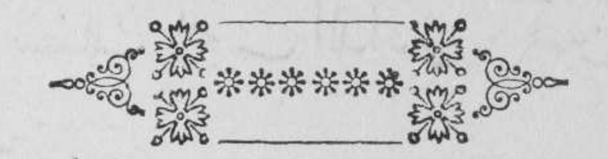
والحمد لك على ان هذا الكتاب قد طبع بفضلك فى مدة عدة العين* فى يوم الجمعة وفى شهر مبارك بين العيدين . رب اجعله مباركاً ونافعاً للطلاب وهادياً الى طريق الصواب ، بفضلك يا مجيب الداعين . آمين ثم آمين . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

﴿ تمَّ الكتاب (إعجاز المسيح) ولله الحمد اوّلاً وآخراً ﴾

* عدد العين بحساب الجمل سبعون . الناشر .

اعلان

﴿ ان هذا الاعلان نشره سيدنا احمد المسيح الموعود عليه السلام باللغة الهندية (أردو) مع كتابه (إعجاز المسيح) واني انقله الى العربية . ابو العطاء ﴾



إعلانا للجمهور نكتب باللغة الأردية ان الله تعالى بفضله ومنه قد أنجز طبع هذا الكتاب في ٢٠ فبراير ١٩٠١ في مدة سبعين يوماً . والحق ان هذا كله لم يتحقق إلا بمحض فضله عزوجل ، وقد انتابتني في هذه الايام أمراض مختلفة وعرضت لي عوارض شتى حتى خشيت ان هذا العمل لا يتم في هذه المدة لأنني من أجل شدة المرض و إزدياد الضعف المتواصل كل يوم ما عدت أمسك القلم . هذا ولو بقيت متمتعاً بصحة تامة ايضاً فاني أعرف بنفسى وليس لدي اي كمال واستعداد .

وقد أدركت اخيراً حكمة هذه الأسقام البدنية وهى : ان لا يظن ظانّ ممن حولي من جماعتي هنا ان هذا الكتاب من بنات أفكاري و نسيج منوالي ، فأظهر الله بأحداث تلك الطوارئ والموانع ان هذا ليس مني ولا من قلبي ودماغي .

لاجرم ان اعدائي صادقون فيما يزعمون ان هذا العمل لم يتأت مني بل هناك من يعينني عليه في الخفاء ، فاني أشهد أن في الحق واحداً آخر يسعف

بحاجتي وينصرني ولكنه ليس بأنسان بل هو ذلك الأله القادر ذو القوة المتين الذي نخر ّ على بابه ساجدين . وان كان هناك احد غير الله يستطيع ان يعين إنسانا على عمل فيه قوة الأعجاز فليتربص القراء ان يقعوا على مئات من الكتب التي تكون قد ألفت في تفسير سورة الفاتحة مثل كتابي هذا في أثناء هذه السبعين يوماً طبق شُرطي وسوف تصدر تلك الكتب حالما يصدر هذا الكتاب او تكون قد صدرت قبله . وان طريق الفصل بيني و بين خصومي قد انحصر الآن فيه فليأتوا بتفسير مثله . واني اخص بالذكر السيد (مهر علي شاه) فانه لامحالة يسعي لكتابة التفسير لأنه ان لم يسع اوسعى ولم يستطع فكيف وبأي وجه يظهر أمام اولئك الذين قيل لهم انه أتى (لاهور) كي يكتب التفسير على الفور ؟ ومن الواضح الجلي انه اذا عجز عن كتابة التفسير في بحر سبعين يوماً فماذا كان يستطيع ان يكتبه في سبع ساعات ؟

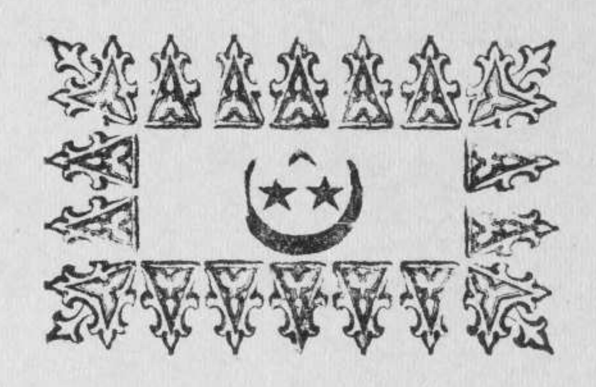
وان في هذا لآية عظمي لقوم مقسطين و بها يعلمون ان اي الفريقين عند الله من المنصورين . وقد تحدينا جموع المشائخ والعلماء وأعلنا هم ان مدة التحدى سبعون يوماً على السواء . فالآن هل لديهم من جواب فيما اذا كانوا لم يستطيعوا ان يكتبوا مثل هذا التفسير ؟ إنها لمعجزة حقا وان لم تكن هذه معجزة فما هى المعجزات ؟

أيها الاصدقاء الذين كنتم تتلون آيات الفاتحة ! أبصروا هذه الشموس بأعيني . وتدبروا ام الكتاب واقرؤها مراراً لأنها تبين الحقيقة واضحة . واعلموا ان الله علمكم هذا الدعاء وان حبيبه صلى الله عليه وسلم قد أقرأكم إياه وانكم تقرؤنه

في الصلوات الخمس وتدخلون به باب الرب الصمد . فوالذي أنزل هذه السورة على قلب الحبيب المحبب الطاهر إنها لبينة من الله على صدقي ، وخاتم القدوس على قولي ، وإنها البرهان جلي على مسيحيتي ، ودليل يشهدلي من الرب الجليل. فمن ذا ترقبون مجئيه بعـدي والى متى الا نتظار ؟ توبوا الى الله فان الحياة ليس لها قرار ؟

الراقم
ميرزا غلام احمد

قاديان
٢٠ فبراير ١٩٠١



ظهرت بفضل الله معجزة كبرى!

هذه قطعة اخرى نشرت فى آخر كتاب (اعجاز المسيح) باللغة الهندية ومنها أنقلها الى اللغة العربية : ابو العطاء الجالندهرى

احمد الله الواحد القادر على كل شيء حمداً لا يُحصى عدُّه إذ فتح لي في هذا الميدان الخطير فتحاً مبيناً . وقد نجز هذا التفسير في غضون السبعين يوماً برغم ماطرأ علي من العوائق المختلفة : مرضت انا مراراً وكذلك بعض أعزتي كانوا من السقماء. ولاشك ان المتفكر في أننا كيف تحدينا آلافا من الاعداء لكي يكتبوا مثل هذا التفسير فعجزوا عن بكرة ابيهم ، يرى تفسيرنا هذا معجزة كبيرة وآية باهرة . واني لأسائل الذين ينكرون هذا الاعجاز : من منع هؤلاء العلماء من كتابة تفسير الفاتحة مع انهم قد دُعوا للخوض في هذا المعترك بالفاظ مثيرة للغيرة ؟ ومن ذا الذي جعل شخصاً ضعيفاً كمثلي قادراً على كتابة تفسير معجز كهذا بلغة فصيحة بليغة مع اني كنت مريضا ولم يزل المشائخ يحسبونني جاهلاً بالعربية لا اعرف منها شيئاً ؟

واقول لو كان العلماء بذلوا جميع مجهوداتهم الفكرية حتى مُست أدمغتهم بهواس الشر لما استطاعوا مضارعة هذا التفسير. ولو كان في مُكنتهم او لو كان الله ينصرهم لكانوا نشروا إلى الآن ألف تفسير ضد تفسيرنا ولكن أنى لهم التناوش من مكان بعيد؟

وياليت شعري ماذا يقول هؤلاء المشائخ في الرد علينا ؟ لقد تحدينا العلماء بكتابة تفسير أم الكتاب، وضربنا لها أجلاً مسمى ليس بالقليل اعني سبعين يوماً، وجعلنا التفسير حكماً بيني وبينهم ، وانا كنت وحيداً وهم كانوا عدةَ آلاف

من الأدباء والفضلاء والعلماء ، ومع كل هذا خابوا في مسعاهم لكتابة التفسير . فماذا يقول الآن هؤلاء المشايخ في الرد علينا ؟

ولو كتبوا تفسير الفاتحة وأتوا بالبراهين ضدنا لصار الناس اليهم وصاروا من حزبهم . فأية قوة خفية غلت ايدي هؤلاء الألوف ، وأوهنت قواهم الفكرية حتى أرتج عليهم ، وسلبتهم الرشد والعلم ، وختمت على صدقي بشهادة ام الكتاب ، وختمت على قلوبهم ختماً لا يعقلون معه ولا يفهمون ؟ . انكشفت مساوئ هؤلاء ، وافتضحت ثيابهم الدنسة بين أيدي الجماهير . واما انا فقد خلع الله عليّ خلعة بيضاء مثل بياض الثلج ، وأجلسني على التكرمة وكرسي الافتخار ، ومنحني لقب العزة ووسام الشرف . ألا وهو قوله تعالى (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) في سورة الفاتحة .

ثم انظروا إلى مزيد فضله تعالى حيث انه وفقني لكتابة اثنى عشر جزءاً ونصف جزء — يعني حضرته بالجزء ست عشرة صفحة والكتاب يقع في مئتي صفحة تماماً بالطبعة الهندية . المعرب — وكان كلا الفريقين مكلفاً بكتابة اربعة اجزاء من التفسير في خلال السبعين يوماً ، وهم مع كونهم آلافاً لم يستطيعوا ان يكتبوا ولا جزءاً واحداً . ألستم ترون في هذا معجزة ولماذا ايها العلماء ؟

ولا يرضى الإنسان لنفسه ذلة وهوانا إلا مرغماً ، فان كان أمر كتابة التفسير هيناً يسيراً على المشايخ غير عسير فلِمَ لَمْ يكتبوا ؟ وقد كنت أعلنتهم ان الفريق الذي يعجز عن كتابة تفسير الفاتحة في بحر السبعين يوماً يُعَدّ كاذبا ويعتبر كلامه ميناً وزوراً . ألم يكن في هذه الكلمات ما يحفز شعور الانسان ويستحث غيرة الرجل الغيور على ان يحرم على نفسه سائر الأعمال حتى ينجز هذا العمل لئلا يقال له

رجل كذوب ؟ ولكن أنى لهم ان يعارضوني وقد قال الله الذي لا تبديل لكلماته (كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) .

وحقت عليهم كلمة ربك الى قيام الساعة لأنهم يتجاسرون على تكفير رجل زاعمين بأنهم اولو العلم واصحاب الفضيلة وهم على كثرتهم قدام ذلك الرجل الواحد خُرْسَانٌ بُكمان لا يحيرون جواباً فتمت عليهم حجة ربك وهكذا أراد. أما كان واجباً عليهم ان يتحاشوا التكفير حتى يبلغوا مبلغ الكمال في العلوم اولاً ؟.

ثم ما أشقى وما أنكد حظ اولئك الذين يرون مُرْسَلاً من الله يُريهم آية بعد أخرى ثم هم يناصبونه العداء ويقومون ضده اعتماداً على هؤلاء المشائخ الذين عجزوا قضهم وقضيضهم عن كتابة اربعة اجزاء من التفسير .

واخيراً نحمده تعالى حمداً كثيراً على ان نبأ آخر للرسول صلى الله عليه وسلم ايضاً قد تحقق بهذه المناسبة. وهو انى قد اضطررت الى الجمع بين الصلوات التي يصح الجمع بينها في أثناء السبعين يوماً لأجل الامراض الطارئة من جهة وبالتالي من تعذر كتابة التفسير أياماً من جهة اخرى وبذلك تحقق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن المسيح الموعود به وورد في (الدر المنثور) وفي (فتح الباري) وفي (تفسير ابن كثير) وفي غيرها من الكتب أي : (وتُجمع له الصلوة) .

وهل لاعدائنا من المشائخ ان يقولوا بتحقق هذا النبأ و بظهور هذه الأمارة ؟ وإلا فليأتوا بمثال رجل قام بدعوى المسيحية او بغيرها يجمع الصلوات قرابة شهرين حسب شروط الشريعة الاسلامية الغراء . والسلام على من اتبع الهدى .

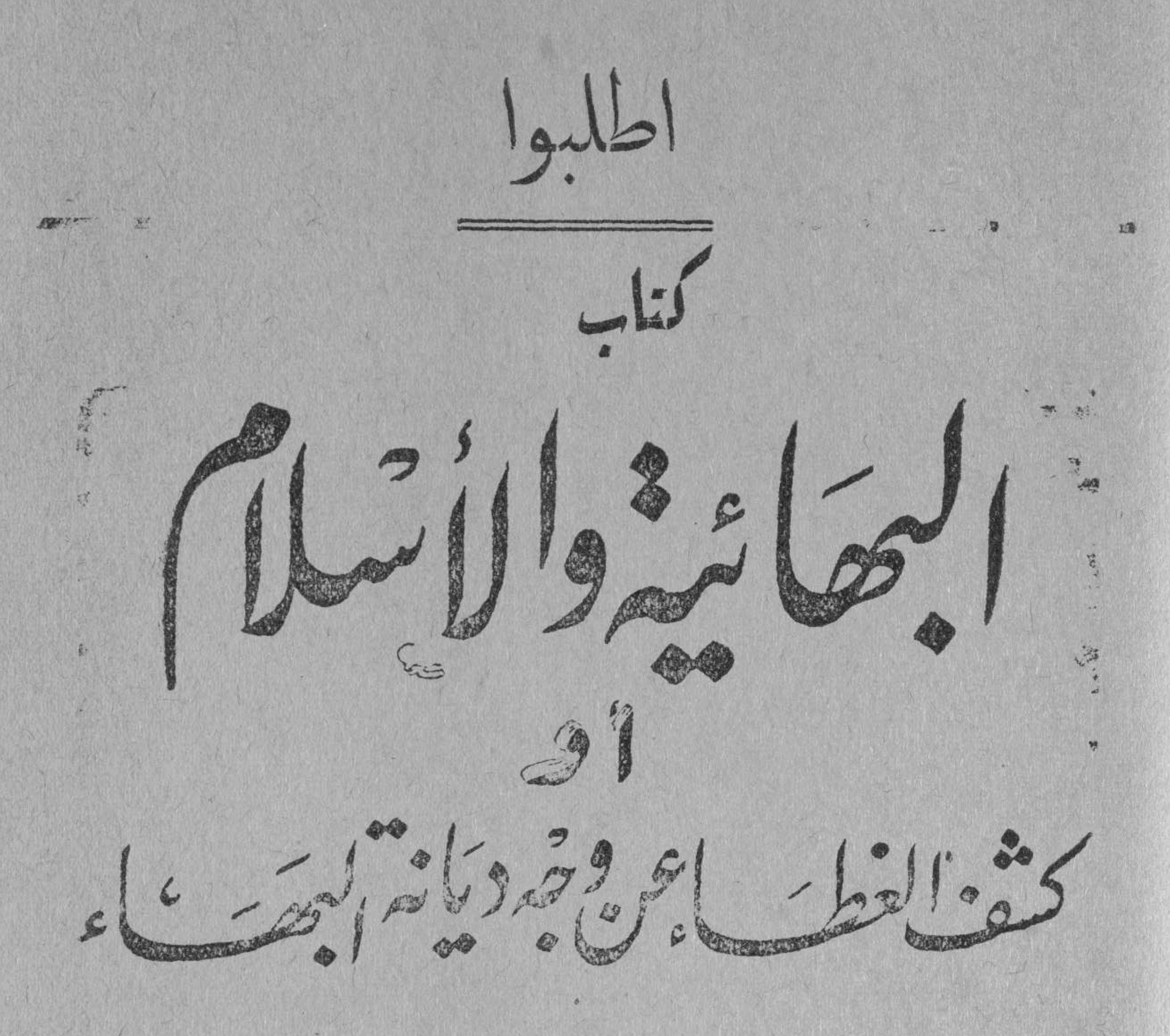
٢٠ فبراير ١٩٠١ — المعلن ميرزا غلام احمد القاديانى .

ملاحظتان

«١» قد وقعت بعض الاغلاط المطبعية البسيطة في الكتاب وبما ان القارئ لايحتاج الي ان نذكر له صحيحها فنكتفي بالاشارة

«٢» ان معاني الالفاظ المذكورة في الحواشي هي من الناشر وليست من المؤلف م

الناشر



(من المكتبة الاحمدية بالكبابير بجبل الكرمل - حيفا - فلسطين)

وثمنه ٢٥ مليما

الاشتراك السنوي في مجلة البشرى

في فلسطين وشرق الاردن	:	٢٠ قرشا
في الهند	:	٣ روبيات
في سائر الممالك	:	٥ شلنات انجليزية

انتهت بهذا الجزء اعداد السنة الاولى من مجلة (البشرى) وسيصدر العدد الاول من السنة الثانية قبل نهاية شهر شوال ١٣٥٤ ان شاء الله تعالى